



٧٤



الصراع الجهنمى

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

الصراع الجهنمى

٧٤

- كيف يواجه (نور) ابنته ، فى صراع قاتل ، يقوده (ابن الشيطان) ؟!
- تُرى هل يُنهِى مصرع الشيطان الصغير ذلك الصراع ؟
- لمن يكون النصر هذه المرّة ، فى هذا (الصراع الجهنمى) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، وواصل معركتك مع (نور) ورفاقه ، من أجل البشريّة ..



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الجولة الأخيرة



١ ـ الصِّراع ..

أُضيئت السماء بالتماعة برق ، أعقبها قصف رعد قوىّ ، بدا فى تلك الليلة من ليالى الشتاء ، حيث انهمر المطر كالسيل ، وفى تلك المنطقة المنعزلة وسط المزارع ، حيث منزل جَدّ (نور) الريفى،قصف الرعد كدوىّ عشرات المدافع ، فى ساحة معركة حامية الوطيس اشتدّ فيها الصراع والنّزال ..

وعَبْرَ نافذة المنزل الريفىّ ، انعكس ضوء البرق على وجه (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ..

على ذلك الوجه البرىء ، الذى استحال بلمسات شيطانية إلى وجه وحشى شرس ، تطلّ منه عينان ناريتان ، التهبتا بالشّرّ والقسوة ..

وفى قبضة (نشوى) ، استقرّ مقبض سيف ضخم بتّار .. سيف صنعه شياطين الجحيم ..

وفى قبضة والدها (نور) ، استقرّ سيف آخر .. سيف من صنع البشر ..

وكان الصراع حتميًا ..

صراع أعدّه (ابن الشيطان) ، الذى وقف يراقب مايحدث ، بعينين ناريّتيْن ، وشفتين ارتسمت عليهما ابتسامة الجحيم ..

صراع بين البشر والشياطين ..

بين أبناء الأرض ، ومستوطنى الجحيم ..

ومن عينى (سلوى) ، سالت دموع المرارة والعذاب ، وهى ترى ابنتها فى مواجهة زوجها ..

الأب والابنة يحملان سيفيهما فى مواجهة كل منهما الآخر ..

وياله من مشهد عجيب !!

اثنان من القرن الحادى والعشرين ، يتواجهان فى منزل من القرن العشرين ، وبسيفين يعود تاريخ صنعهما إلى القرن السادس عشر ..

وكان على أحدهما أن ينتصر حتمًا علَى الآخر ..

والنصر يَعْنى أن يقتل غريمه ..

الأب يقتل الابنة ..

أو العكس ..

وفى قلب (نور) توقّفت غصّة مُؤْلِمَة ..

ومن أعمق أعماقه سالت دمعة ..

وراح يتساءل فى مرارة .. كيف بدأ ذلك ؟..

كيف ؟!..

* * *

كانت البداية منذ ملايين السّنين ..

منذ هبط البشر إلى الأرض ..

منذ وجد الشيطان طريقه فى قلب (قابيل) ، ودفعه إلى قتل شقيقه (هابيل) ..

بعدها هبط الشيطان إلى الأرض ، وتزوّج من واحدة من بنات حوّاء ، وأنجب منها ابنًا ..

(ابن الشيطان) ..

وعَبْرَ التاريخ والعصور ، دار الصراع بين الشيطان الابن ، وأبناء آدم من البشر ..

وانحسم آلاف المرات ..

حتى دار ذلك الصراع التاريخىّ ، بين (أوزيريس) و (ست) ..

وربح (أوزيريس) معركته ..

وجاء نسله مقاومًا لـ(ابن الشيطان) ، عَبْرَ العصور والأجيال ..

وانهزم (ست) ، فى مواقع شتَّى ..

وتحوَّل اسمه إلى (راسبوتين) ، وربح ..

وإلى عشرات الأسماء الأخرى ..

ثم جاء دَوْر آخر أحفاد (أوزيريس) ..

(نور) ..

واستعان (ابن الشيطان) بصحفىّ فاشل حقير ، يُدعى (صفوت) ، ليكون معاونًا له ، يحمل على عاتقه عبء مهمَّة واحدة ، لم يعلمها حتى الآن ..

وبدأت الأحداث الشيطانية ..

الحياة الزائفة تدبُّ فى الأثاثات والجماد ..

الدماء تنهال من كل صَوْب ..

الشرّ ينضح من العيون والنفوس ..

وبواسطة (صفوت) ، دفع (ابن الشيطان) بعضًا من دمائه فى جسد (نشوى) ، التى تحوَّلت إلى نصف شيطانة ، على الرغم منها ..

وفى نفس الوقت كان (نور) والدكتور (حجازى)

يعدَّان جلسة لتحضير الأرواح ، بمعاونة الوسيط الروحانىّ الأشهر ، الدكتور (عبد الجليل) ، بعد أن تصوَّر الدكتور (حجازى) أن كل مايحدث فى منزل (نور) ، يعود إلى أرواح شريرة مجهولة ..

وكانت ليلة من ليالى الجحيم ..

أيد عملاقة تبرز من الأرض ، وتعتصر الجميع ..

كيان أسْوَد شيطانىّ بشع ، التهم الدكتور (عبد الجليل) ..

كهف مخيف رهيب غامض ، هوَى فيه (نور) والدكتور (حجازى) ..

ثم انتهى كل ذلك بغتة ..

كل الأمور عادت إلى نصابها ..

الدكتور (عبد الجليل) .. المنزل ..

كل شىء ..

وكان على (نور) أن يلجأ إلى مساعدة أقوى ، لمعرفة غريمه على الأقل ..

كان كل ما يعلمه عنه ، هو رسالة روحانية ، أتت إليه بها روح جده ، مع بداية تلك الأحداث ، ورسم لقرص يحوى نقوشًا عجيبة مخيفة ، وعبارة غامضة ..

وكان أن ذهب (نور) والدكتور (حجازى) إلى أكبر خبراء علوم ما فوق الطبيعيات ، فى الشرق الأوسط كله ..

إلى الدكتور (عزيز) ..

وهناك علم (نور) من غريمه ..

علم أنه (ابن الشيطان) ..

وعرف ما أصاب ابنته، التى اختطفها الشيطان الصغير ..

ولقد أعطاه الدكتور (عزيز) قارورة صغيرة ، تحوى بعضًا من ماء (زمزم) المبارك ..

كانت وحدها تخلّص ابنته من دماء الشيطان ..

ولكن كان عليه أنْ يحقنها بها قبيل الفجر ..

وانطلق (نور) إلى منزل جدّه الريفى ، حيث جرت آخر مواجهة بين (ابن الشيطان) وأحد البشر .. جدّ (نور) ..

حيث خسر الشيطان الابن معركته الأخيرة ..

وهناك كان على (نور) أن يخوض معركته ضد الشيطان ..

وضد ابنته(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأوّل والثانى ، (ابن الشيطان) ، و (مبعوث الجحيم) .. المغامرتين رقم (٧٢) و (٧٣) .

ومع التماعة البرق الثانية ، كانت (نشوى) قد أصبحت على قيد متر واحد من (نور) ، والتهبت عيناها بنيران الغضب والشراسة ، وهى تقول فى وحشية :

ــ قاتل .

وانعكس ضوء البرق على نصل سيفها الشيطانىّ ، عندما شهرته فى قوّة ، وأطلق (ابن الشيطان) ضحكة ساخرة ، وقال فى لهجة ظافر :

ــ قاتل أيها الرائد .. قاتل يا حفيد (أوزيريس) .. ألق كل عواطفك ومشاعرك جانبًا .. قاتل وإلّا كانت الهزيمة من نصيبك .

وتألّقت عيناه بلهيب الشرّ ، وهو يستطرد :

ــ والهزيمة هنا تعنى الموْت .

وأطلقت (سلوى) صرْخة ذُعر ، اختلطت بصرْخة وحشيّة ، انطلقت من بين شفتى (نشوى) ، قبل أن يَهوِى سيْفها على أبيها ..

وبدأ الصراع ..

* * *

٢ ـــ مواجهة الشيطان ..

استقبل (نور) نصل سيف ابنته ، على نصل سيفه ، وخُيِّل إليه أنَّ ضَرْبة سيف البنت أشبه بطلقة مِدفع قديم ، حتى أنها قد خلخلت قوَّته ، وكادت تمزِّق عضلاته ، وتلقِى به أرضًا ، وتساءل فى دهشة عن سرِّ تلك القوَّة الهائلة ، التى سرَتْ فى جسد ابنته ، مع دماء (ابن الشيطان) ..

وكإجراء منطقىّ ، قفز (نور) متقهقرًا ، وتطلَّع إلى ابنته فى توتُّر بالغ ، ومرارة لا حدَّ لها ، وهى تزمجِر فى وحشية ، وتتقدَّم نحوه ، ملوِّحة بسيفها فى شراسة ، وضحكات الشيطان الصغير تتصاعد ساخرة ، وهو يهتف :

ـــ لن تنتصر يا حفيد (أوزيريس) .. لن تربح معركتك هذه المرَّة أبدا .

صاح (نور) فى صرامة :

ـــ أنت ستخسر معركتك أيها الشيطان .. لن تربح أبدا .

ارتجَّت الجُدران بصرخة (ابن الشيطان) الغاضبة ، وهو يهتف :

ـــ لن أخسر .

ومع صرخته ، هوَى سيف (نشوى) مرَّة أخرى على والدها ..

وفى هذه المرَّة لم تتقارع السُيوف ..

لقد تفادى (نور) النَّصل القاتل ، وقفز جانبًا فى رشاقة ومهارة ، وترك النَّصل يَهْوِى إلى جواره ، ويرتطم بالأرض ، فى دَوِىّ كرنين عشرات الأجراس ، ثم مال فى براعة ، ومَرَق إلى جوار ابنته ، وضغط مشاعره وعواطفه إلى أقصى حدّ ، داخل جراب من الفولاذ الصلب ، وهَوَى على مؤخرة عنقها بلكمة قويَّة .

كان كل ما يسعى إليه هو إفقادها الوَعْىَ ..

إنها ابنته ..

لن يمكنه مقاتلتها أبدا ..

صحيح أن الشيطان داخلها هو الذى يصارعه الآن ..

ولكنها ابنته ..

وبإفقادها الوَعْىَ يحقِّق ما يصبُوا إليه ..

يتفادى قتاله معها ..

يتفادى رغبته فى أن يلقَى مصرعه على يديها ، بدلًا من أن يَشْهَرَ سيفه فى وجهها ..

ولقد أصابتها الضربة فى قوَّة ..

وشهقت (سلوى) فى لوعة ، عندما رأت ابنتها تندفع إلى الأمام ..

ثم تستدير ؛ لتواجه والدها مرَّة أخرى ..

فى الظروف العاديَّة ، كانت ضربة (نور) تكفى لإفقاد ابنته وعيها ليوم كامل على الأقل ..

أمَّا الآن ، فهى لم تسقط ..

فقط اندفعت إلى الأمام ، ثم استدارت تواجهه بمزيد من الشراسة ..

وفجأة ، تنبَّه (نور) إلى نقطة بالغة الأهميَّة ..

إن عينى ابنته قد ذهبتا ..

إنها تحمل الآن عينى (ابن الشيطان) ..

نفس العينين الناريتين ..

نفس الوحشيَّة ..

نفس الشراسة ..

وفى هذه المرَّة تفادى (نور) انقضاضة ابنته ، وقد أعدَّ لنفسه خطَّة جديدة ..

وفى هذه المرَّة مال جانبًا ، ثم دار على عقبَيْه فى سرعة مدهشة ، وألقى سيفه ، بكل ما يملك من قوَّة ، نحو قلب الشيطان الابن ..



ثم دار على عقبَيْه فى سرعة مدهشة ، وألقى سيفه ، بكل ما يملك من قوَّة ، نحو قلب الشيطان الابن ..

وتراجعت (سلوى) فى جِدَّة ..

وتجمَّدت (نشوى) فى مكانها ..

وانطلقت صرخة هائلة ، ارتجَّت لها جُدران المنزل كلها ..

ليس مجرَّد تشبيه بليغ هذه المرَّة ..

لقد ارتجَّت الجُدران بحقٍّ ..

ارتجَّت وكأنما قد تعرَّضت إلى زلزال عنيف ..

هذا لأن الصرخة كانت شيطانية .

كانت صرخة (ابن الشيطان) ..

وأمام عيون الجميع ، غاص السَّيف فى قلب الشيطان الابن ، ونفَذ من ظهره ..

وخبا لهيب عينى الشيطان الابن لحظة ..

وتلاشى اللهيب المشابه من عينى (نشوى) ..

واندفع (نور) نحو ابنته ، وهو ينتزع القارورة من جيبه ، هاتفًا :

— أسرعى يا (سلوى) .. لابدّ أن نحقنها بالماء ، قبل أن يعاود ذلك الشيطان الابن سيطرته عليها .

هتفت (سلوى) فى ارتياع ، وهى تندفع نحو ابنتها :

— ماذا ؟!.. ألم تقتله ؟

صاح ، وهو يكشف ذراع ابنته ، التى بدت كالشاردة :

— إنه ليس بشريًّا .

ملأ مِحْقَنه بالماء المبارك من القارورة بسرعة ، ثم اندفع بإبرة المِحْقَن نحو ذراع ابنته ، و ......

وفجأة ، قفز المِحْقَن من يده ..

وانطلقت صرخة (ابن الشيطان) الغاضبة ، وهو يهتف:

— مُحَال .

قفز (نور) يلتقط المِحْقَن ، قبل أن يتحطَّم أرضًا ، ويضيع الماء المبارك ، ثم استدار إلى حيث يقف الشيطان الابن ، واتسعت عيناه بنفس الدهشة ، التى تراجعت لها (سلوى) ، عندما رأيا (ابن الشيطان) ينتزع السَّيف كله من قلبه ، دون أن تلوَّث نصله نقطة دماء واحدة ، ثم يلقيه جانبًا ، هاتفًا فى غضب :

— صدقت أيها الآدمىّ .. صدقت يا حفيد (أوزيريس) ..
إننى لست بشريًّا .. وفى هذا الموضع ، لا يوجد قلب ، مثلما تحوى أجسادكم .

غمغمت (سلوى) فى رُعْب :

— رُحْماك يا إلهى !!

اعتدل (نور) فى صلابة ، وقال :

ـــ ولكنك لن تنتصر أيها الوغد .. لقد كشفت نقطة ضعفك ، وأعلم الآن كيف أقتلك .

أطلق الشيطان الصغير ضحكة وحشية ، قبل أن يصرخ :

ـــ مُحَال .. لن تتوصَّل إليها أبدًا .

صرخ (نور) :

ـــ لقد فعلت .

وقَسَتْ نبراته ، وهو يستطرد :

ـــ تمامًا مثلما فعل جَدِّى من قبل .

التهبت عينا الشيطان الابن فى غضب ، وصرخ :

ـــ جَدُّك ؟!..

هتف (نور) :

ـــ نعم .. جَدِّى .. عُدْ بذاكرتك إلى الوَراء .. إلى ذلك اليوم ، حينما توصَّل (رحمه الله) إلى نقطة ضعفك ، هل تذكر ؟

زمجر الشيطان الابن فى وحشية ، وارتسمت أمام عينيه أحداث ذلك اليوم ، الذى ذاقَ فيه أمرّ هزيمة فى حياته ..

رأى الجَدّ يندفع نحوه ، ويصرخ :

ـــ لقد كشفت عَوْرَتك .. كشفت نقطة ضعفك .

ورآه يطلق نحوه ذلك السلاح ، و .....

عادت كلمة (نور) تُدَوِّى :

ـــ لقد علمت كيف أهزمك .

اتسعت عينا (ابن الشيطان) ، وهو يهتف :

ـــ ينبغى أن تهزم ابنتك أوَّلًا .

مع آخر حروف كلماته ، عادت عيناه تلتهبان بنيران الشَّرّ .

وصرخت (سلوى) ..

وزمجرت (نشوى) ..

لقد استعادت فى أعماقها روح الشَّرّ ..

وعاد الصِّراع ..

* * *

كان أكثر ما أثار خوف (نور) ، فى تلك اللحظة ، هو أن يسقط المِخْفَق من يده ..

وفى هذه المرَّة لم يكن يملك سلاحًا ..

وكانت ابنته تواجهه بمزيد من الشراسة ..

ولم يواجه (نور) ابنته ..

لقد تفاداها مرَّة أخرى ، ثم اندفع نحو ذلك السُّلَّم ، الذى يقف أعلاه الشيطان الابن ، واعتلاه بقفزتين واسعتين ، حتى أصبح يواجه نصف الشيطان ، الذى أدهشه هذا بحقّ ، فتراجع بحركة حادَّة ، وفقد سيْطرتـه التوجيهيـة على (نشوى) ، التى عادت تتجمَّد مرَّة أخرى كالمشدوهة ، و (نور) يصرخ فى وجه غريمه :

ــ الآن سأهزمك .

سيْطر الشيطان الابن على دهشته دفعة واحدة ، وقال فى شراسة :

ــ أنت الذى ستلقى الهزيمة يا حفيد (أوزيريس) .

انتزع (نور) من حزامه بغتة أسطوانة صغيرة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ قُل لى يا وغد الأوغاد .. أتعرف ما هذا ؟

تراجع الشيطان الابن فى ذُعر ، وهو يحدِّق فى الأسطوانة الصغيرة برُعب هائل ، على حين استطرد (نور) :

ــ إنه قاذف لهب صغير أيها الشيطان .. أتدرى ما الذى يمكن أن يفعله بك اللهب .. النار .

التصق (ابن الشيطان) بالحائط فى رُعب ، وهو يهتف :

ــ لن تفعل .. لن تفعل .

اقترب منه (نور) مرَّة أخرى ، وهو يقول فى حزم :

ــ النار أيها الوغد .. نقطة ضعفك الوحيدة .. صحيح أنك من نار ، ولكننا أيضًا من طين ، وعلى الرغم من ذلك ، فالطين يلوِّثنا ويؤلمنا ، إذا ما ارتطم بوجوهنا .. أنت كذلك تقتلك النيران .

صرخ الشيطان الابن فى رُعب :

ــ لا .. لا ..

هتف (نور) :

ــ عبارة جدِّى تقول ذلك ، ولكننى لم أنتبه إليها فى البداية .. ولست أدرى كيف ؟.. « النار وحدها تغسل الشُّرور » .. وأنت كل الشُّرور ..

صرخ (ابن الشيطان) :

ــ ابنتك ستذهب ضحيَّة نجاحك .. إنها تحت سيطرتى .

قبض (نور) على المِخْقن فى يده الأخرى فى قوَّة ، وهو يقول :

ــ أعلم كيف أحرِّرها .

صرخ الشيطان الصغير :

— كلّا .. إنها تحت سيطرتى .

والتهبت عيناه مرّة أخرى ، وهو يشير إليها ، هاتفًا :

— انظر إليها .. انظر .

تراجعت (سلوى) فى دهشة ، عندما ارتسم ألم هائل على وجه (نشوى) ، وسقط السّيف الشيطانىّ من يدها ، وراحت تتأوّه ، وتصرخ فى آلام مبرّحة :

— أبى .. أنقذنى يا أبى .. الرّحمة !! الرّحمة !!

انفطر لتوسّلاتها قلب (سلوى) ، وذاب قلب (نور) ، وهو يهتف فى غضب :

— اذهب إلى الجحيم أيها الحقير .. اذهب ..

وأطلق لهيب قاذفة اللهب فى وجه الشيطان .. الشيطان الابن ..

* * *



٣ ــ الجحيم ..

صرخة هائلة ، ارتجّت لها القلوب ..

صرخة شيطان يحترق ..

لقد كان لهيب قاذفة اللهب الأسطوانية الصغيرة ، يكفى فقط لإصابة بسيطة ، محدودة ، بالنسبة لأىّ رجل عادىّ ..

ولكن اللهب لم يكد يمسّ الشيطان الابن ، حتى اشتعل جسده كله بالنيران ..

وانطلقت صرخاته هائلة مخيفة ، وهو يتخبّط بالجُدران ، ويرتطم بكل ما يقابله ..

وراح جسده يذُوب أمام عيون (نور) و (سلوى) ..

وتراجع (نور) فى حِدّة ، وهبط فى درجات السُّلّم قفزًا ، حتى وقف إلى جوار زوجته الفَزِعة ، وابنته الشاردة .

وتوالت صَرَخات الشيطان ، حتى سقط على ركبتيه ، وقد تحوّل إلى شعلة مُتّقِدة من اللّهَب ..

وغمغم (نور) :

— سيترك بقعة سَوْداء على الحائط .. تمامًا مثلما تركها فى حجرة مكتب جَدّى .



وتراجع (نور) فى حِدَّة ، وهبط فى درجات السُّلَّم قفزًا ..

لم تنبس (سلوى) ببنتِ شفَة ، وهى تراقب ذلك الغريم الجهنَّمِىّ ، الذى استحال إلى كتلة من الجحيم ، وراح يتأوَّه فى ألم ..

وفجأة ، نهض الشيطان الابن ..

نهض فى حركة حادَّة مخيفة ، انتفض لها جسدا (نور) و (سلوى) ، وصرخ فى وحشية مرعبة :

ــ سأعود ..

ثم تلاشى جسده فجأة ، مخلّفًا خيطًا من اللهب ، خبا فى سرعة ، ليسود الهدوء المكان فجأة ..

وبعد لحظات من الصمت والسُّكون ، اتجه (نور) نحو السُّلَّم ، وراح يصعد فى درجاته فى بطء ، حتى بلغ ذلك الموقع ، الذى احترق فيه الشيطان الابن ، وتطلَّع إلى ذلك القرص المنقوش ، الذى تبقى فى ذلك الموضع ، وانحنى يلتقطه فى هدوء ، إلَّا أنه لم يكد يلمسه ، حتى تراجع فى حِدَّة ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. إنه ملتهب فى شِدَّة .

أتاه صوت (نشوى) جافًا ، وهى تقول :

ــ سيبرد .

التفت إليها ، هو وأمّها ، فى دهشة ، وسمعاها تضيف فى شرود مخيف :

ـ سيبرد مع مرور الوقت .
ثم أدارت عينها إلى السَّيف الشيطانىّ ، المُلْقَى أرضًا ، وأضافت :
ـ وعندئذ ألحق بسيِّدى .
وبسرعة ، انحنت تلتقط السَّيف الشيطانىّ ، وأدارت نصله إلى قلبها ، صارخة :
ـ ألحق به فى الجحيم ..

* * *

لم تتصوَّر (سلوى) فى نفسها أبدًا ، القدرة على أن تفعل هذا ..
إنها لم تكد ترى ابنتها ، وهى تهمّ بقتل نفسها ، حتى تحوَّلت فجأة إلى وحش كاسر ..
وحش يتحدَّى الدنيا كلها ، من أجل أبنائه ..
وبسرعة مُذهلة ، وقبل أن يتحرَّك (نور) من مكانه ، قفزت (سلوى) نحو ابنتها ، وانتزعت السَّيف من قبضتها ، وهى تهتف :
ـ لا .. لن يهزمنا ذلك الحقير ، بعد أن صرعناه .
أطلّ غضب هائل من عينى (نشوى) ، ورفعت كفَّها لتلطم أُمّها ، إلّا أن (نور) بلغ موضعها فى تلك اللحظة ، فقفز نحو (نشوى) ، وأمسك معصميها فى قوَّة ، وهو يقذف المحقن إلى (سلوى) ، صائحًا :

ـ بسرعة يا (سلوى) .. سينبلج الفجر بعد لحظات .
التقطت (سلوى) المِحْقن ، ومسحت الدموع التى ملأت عينيها ، ثم اتجهت نحو ابنتها ، وهى تغمغم فى حزن :
ـ إننا نفعل هذا من أجلك يا بنيَّتى .. من أجلك .
وغاصت إبرة المِحْقن فى عروق (نشوى) ..
وراح جسد (نشوى) يرتجف فى قوَّة ..
وأطلّت من عينيها توسُّلات الدنيا كلها ..
ثم انطلقت تبكى فى حرارة ، وهى تهتف :
ـ أنقذنى يا أبى .. أنقذينى يا أمى ..
اغْرَوْرَقَتْ عيونهما بالدموع ، وبدت توسُّلاتها كأنَّما هى نار تحرقهما ، حتى هدأ جسدها ، واستكانت تمامًا ..
وفى اللحظة نفسها ، انطلق أذان الفجر ..
وفتحت (نشوى) عينيها فى إرهاق ، واغْرَوْرَقَت العينان الجميلتان بالدموع ، وهى تغمغم فى ضعف :
ـ أبى .. أمِّى .. ماذا حدث ؟.. ماذا أصابنى ؟
ربَّتت أمها على كتفها فى حنان ، وهى تغمغم :
ـ لقد انتهى كل شىء يا بنيَّتى .. انتهى كل شىء .
تنهَّد (نور) فى ارتياح ، ونهض واقفًا ، وهو يقول :
ـ نعم .. انتهى كل شىء .

تعاون مع زوجته على إيقاف ابنتهما ، التى بدت متهالكة ، وقال وهو يقودها إلى خارج المنزل :

— سنغادر هذا المكان يا (سلوى) .

غمغمت (سلوى) وهى تبكى :

— كنت سأتوسَّل إليك أن تفعل ، فلم أعُد أحتمل هذا المكان .

قادهما إلى سيَّارته ، المتوقِّفة خارجًا ، وأجلسهما فى عِناية وحَنان ، ثم اعتدل وتنهَّد مرَّة أخرى ، وقال :

— من العجيب أننى أيضًا لم أعُد أحتمله .

وفجأة ، اتسعت عيناه ، وهتف :

— القرص .

واندفع نحو المنزل ، وقفز درجات سُلَّمه قفزًا ، حتى بلغ ذلك الموضع ، الذى احترق فيه (ابن الشيطان) ، وتنهَّد فى ارتياح ، عندما رأى القرص فى موضعه ، فأخرج من جيبه صندوقًا صغيرًا ، دفع داخله القرص الساخن ، ثم أغلقه فى إحكام ، وهو يغمغم :

— ينبغى التخلُّص منه بأيَّة وسيلة .

ودسَّ الصندوق فى حزامه ، ثم عاد إلى سيَّارته ، وابتسم وهو يدير محرِّكها ، قائلًا :

— لقد انتهى كل شىء بالفعل يا سادة .

وانطلق بسيَّارته الصَّاروخيَّة ، تحت المطر المنهمر ، والرياح الشديدة ، وهو يستطرد فى ارتياح تام ، تسلَّل إلى كل حواسه :

— لقد انتصرنا .

ولكن قوله هذا كان متعجِّلًا بشِدَّة ..

فهناك ..

تحت المطر والرياح ..

بين الأشجار الباسقة ..

وسط الأغصان المتشابكة ..

كان هناك شخص يقف متربِّصًا ..

شخص آدمىّ ..

كان يقف (صفوت) ، الصحفىّ الخائن ، وعميل (ابن الشيطان) ..

ومن عينيه أطلَّت نظرة شيطانيَّة وحشيَّة ..

كان مَوْعد مهمَّته المحدودة قد حان ..

حان بالفعل ..

* * *

٤ ـ الحُـلْم ..

كان الضَّباب يحيط بكل شىء ..

ضباب كثيف مخيف ..

وكان (نور) يجتاز الضباب فى هدوء ، وكأنما يعلم طريقه جيّدًا ..

وكان يرتدى زيًّا فرعونيًّا ..

ومن وسط الضباب ، بدا هناك شخص يقترب ..

شخص مألوف ..

وتوقَّف (نور) ؛ ليرى القادم ..

وتراجع فى توتُّر ، عندما أبصره ، وتعرَّفه ..

لقد كان ذلك الشيطان الصغير ..

الشيطان الابن ..

نفس الوجه الوسيم المليح ..

نفس الابتسامة الشيطانية ..

العيون النارية ..

وبصـوت قوىّ عميـق ، وبسُخرية لاحـدود لها ، قال (ابن الشيطان) :

ـ عزيزي (أوزيريس) .. تقبَّل تحيات أخيك .

صاح (نور) فى صرامة :

ـ لست أخى يا (ست) .. أنت ابنه .. (ابن الشيطان) .

أطلق الشيطان الابن ضحكة ساخرة ، والتمعت عيناه ، وهو يقول :

ـ وماذا فى ذلك يا عزيزى (أوزيريس) ؟.. أنت أيضًا ابن (آدم) .

هتف (نور) :

ـ هذا يَعْنى أننا عدُوَّان .

صاح (ابن الشيطان) فى غضب :

ـ بل إنك عبدى .. فأنا فى طريقى إليك .. سأعود .. سأعود ..

راح يردِّد تلك الكلمة الأخيرة فى لهجة وحشيَّة ، وهو يتراجع ، ويغوص وسط الضباب ..

وصرخ (نور) :

ـ لا .. لا .. لا ..

كان يردِّد صرخته فى ثورة ، حتى شعر بيد تهزُّه فى قوّة ، وسمع صوت (سلوى) تهتف فى جزع :

ــ (نور) .. استيقظ يا (نور) .. استيقظ .

استيقظ دفعة واحدة ، واعتدل فى فراشه بحركة حادَّة ، وتطلَّع إلى ما حوله فى توتُّر ، ثم زفر فى قوّة ، وهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. كان كابوسًا بَشِعًا .

ربَّتت على كتفه فى حنان ، وهى تغمغم :

ــ أهو نفس الكابوس ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. فى كل مرَّة يتبدَّل المكان .. فتارة يكون ساحة صراع رومانية قديمة ، وأخرى يكون أرض معركة فرنسية ، وثالثة يكون ثلوجًا روسيَّة .. ولكن التفاصيل الأخرى لاتتغيَّر .. نفس الضباب ، ونفس ذلك الحقير يبرز من الضباب ، ويؤكِّد أنه سيعود .

تمتمت (سلوى) فى إشفاق :

ــ ينبغى أن نستشير (رمزى) ، فهو الخبير النفسىّ للفريق ، ولقد غادر المستشفى أمس .

تنهَّد ، وهو يقول :

ــ أعلم ما سيقوله (رمزى) .. سيقول إنَّ كلمات (ابن الشيطان) الأخيرة قد علقت فى ذهنى ، وولَّدت فى أعماق خوفًا دائمًا من عَوْدته ، مِمَّا جعل تلك الكوابيس تهاجمنى دَوْمًا .

غمغمت فى حنان :

ــ أظن أنه تفسير منطقىّ .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إلى حدٍّ ما .

ثم نهض من فراشه ، ووقف يتطلَّع من النافذة ، مستطردًا :

ــ ولكننى لست أدرى لماذا يصنع بى الخوف كل هذا ، فى هذه المرَّة بالذات ، على الرغم من أننا قد واجهنا الأهوال من قبل ؟

تبعته (سلوى) إلى النافذة ، وهى تقول :

ــ ربَّما لأنك تعلم أن (ابن الشيطان) يستطيع العودة هذه المرَّة ، لو قرأ أحدهم اسم أبيه ، المنقوش بتلك اللغة الشيطانية ، على ذلك القرص البَشِع .

لوَّح بذراعه ، هاتفًا :

ــ ولكن القرص الآن داخل خزانة خاصّة ، فى إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية ، والدكتور (عبد الله) ، مدير الإدارة يواصل البحث ، ليلًا ونهارًا ، لإيجاد وسيلة لتدميره ، فما الذى يخيفنى إذن ؟

أجابته فى قلق :

ــ أن يقرأ أحدهم النقش ، ولو بالمصادفة ، فيعود الشيطان .

صمت لحظات ، ثم تمتم فى حزم :

ــ نعم .. أنت على حقّ .

وزفر فى قوّة ، ثم استطرد :

ــ سأذهب فى الصباح الباكر إلى هنالك ..

وخُيِّل إليه أن الظلام يرسم صورة لذلك الشيطان الصغير ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة واسعة ، فأردف فى حزم :

ــ إلى حيث القرص الملعون ..

* * *

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى أسف :

ــ كلّا يا (نور) .. بعد كل التجارب التى أجريناها ،



ثم نهض من فراشه ، ووقف يتطلّع من النافذة ، مستطردًا :

ــ ولكننى لست أدرى لماذا يصنع بى الخوف كل هذا ..

يمكننى أن أؤكِّد أنه ما من وسيلة معروفة ، وسط كل علومنا الحديثة ، لتدمير هذا القرص اللعين .

أمسك (نور) يده فى قوَّة ، وهو يقول :

ــ المهم ألاّ يقع ذلك القرص فى يد أىّ مخلوق سواك يا دكتور (عبد الله) ، مهما كان السبب .

ربَّت الدكتور (عبد الله) على كفِّه ، وقال :

ــ اطمئن يا ولدى .. هذا القرص لا يفارقنى طيلة النهار ، حيث أُجرى عليه تجاربى ، وبعدها أضعه داخل خزانة خاصّة ، يستحيل تدميرها ، إلّا بواسطة مدافع اللِّيزر ، ويقوم على حراستها جنديَّان ، تلقَّيا تدريبات مكثفة قويَّة ، ومُستعدَّان للموْت ، فى سبيل منع أى مخلوق من بلوغها .

زفر (نور) فى قوَّة ، وقال :

ــ أتعشَّمَ أن يكون ذلك كافيًا .

ابتسم الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ اطمئنَ يا ولدى .. لن يحدث ما تخشاه .

تمتم (نور) :

ــ أتعشَّم ذلك .

ثم اعتدل ، وتبدَّلت لهجته ، وهو يقول :

ــ ما رأيك فى حضور حفل عائلىّ أنيق ، الليلة ؟

ضحك الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ أىّ حفل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ حفل أقيمه فى منزلى ، بمناسبة شفاء (رمزى) و (محمود) ، يحضره الاثنان ، إلى جانب الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) و .. وأنت .

ربَّت الدكتور (عبد الله) على كتفه بامتنان ، وقال :

ــ شكرًا يا (نور) ، ولكننى مرتبط الليلة ببعض الباحثين ، فى نَدْوَة علميَّة بمنزلى ، ولن يمكننى التخلِّى عن ذلك الموعد .. شكرًا لك .

نهض (نور) ، وهو يقول :

ــ كنَّا نتمنَّى أن تشاركنا حفلنا يا سيِّدى ، ولكنه القدر .

نعم يا (نور) ..

إنه القدر ..

قدرك ..

* * *

هتف (رمزى) فى دهشة ، بعد أن استمع إلى قصة (نور) و (سلوى) ، فى أثناء الحفل :

ـــ يا إلهى !!.. يالها من قصة !! إنها تبدو أشبه بالأساطير .. خيالات وشياطين وأوهام .. إنها خرافة روائيّة مثيرة .

أضافت (نشوى) ، وهى ترتجف :

ـــ ومُرْعبة .

تطلّع إليها (رمزى) فى إشفاق ، وقال :

ـــ بالتأكيد ، مادامت هدّدتنى بالحرمان من خطيبتى ، وزوجة المستقبل .

رمقته (نشوى) بنظرة حياء ، وغمغمت :

ـــ لستُ أمْزَح .

ضحك قائلًا :

ـــ ولا أنا .

أطلق (محمود) ضحكة عالية ، وقال :

ـــ المهمّ أن الأمر قد انتهى بسلام .

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة باهتة ، وتبادل مع الدكتور (عزيز) نظرة قلقة ، قبل أن يغمغم هذا الأخير :

ـــ انتهى ؟!

وأسرعت (سلوى) تقول فى حزم :

ـــ نعم يا دكتور (عزيز) .. لقد انتهى .

اكتفى (نور) بابتسامة باهتة ، وفى رأسه تردّدت عبارة الشيطان الابن الأخيرة ..

سأعود .. •

* * *

اعتدل حارس مبنى إدارة البحث العلمىّ ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، واستوقف ذلك الشابّ ، الذى اتجه إلى المبنى ، وقال له فى حزم :

ـــ قِفْ .. هل تحمل بطاقة مرور ؟

أجاب الشابّ فى قوّة :

ـــ كلّا .

تطلّع الحارس فى قَلَق إلى عينى الشابّ ، اللّذيْن بدتا شاردتين ، جامدتين ، ينبعث منهما بريق مخيف ، وغمغم فى توتّر :

ـــ كيف تتصوّر عبورك إلى الداخل إذن ؟

أجابه الشابّ فى صرامة :

ـــ أنا صحفىّ .. اسمى (صفوت) .

استعاد الحارس سيطرته على نفسه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ الصحفيون أيضًا يحتاجون إلى بطاقة المرور الخاصة .
قال الشاب فى لهجة مخيفة :
ـــ قُلت لك إننى لست أحمل بطاقة المرور .
هتف الحارس فى حزم :
ـــ فى هذه الحالة ..
قاطعه الشاب ، بنفس اللهجة المخيفة :
ـــ ولكننى أحمل جواز مرور خاصّ .
تطلَّع إليه الحارس فى حَيْرة ، وهو يغمغم :
ـــ جواز مرور خاصّ ؟!.. أى جواز هذا ؟
دسَّ (صفوت) يده فى جيبه ، وأخرجها تحمل مسدَّسًا عجيب الشكل ، وهو يقول :
ـــ هذا .
رآه الحارس يضغط زِرَّ المسدَّس ، فقفز جانبًا ، وهو يصرخ :
ـــ النّجدة يا رفاق !!
ولكن قفزته لم تُفِد كثيرًا ..
إن المسدَّس العجيب لم يُطلق خيطًا من أشعة اللَّيزر ، يمكن تفاديه ..

لقد أطلق قنبلة ..
قنبلة عاتية ، وسط عاصفة هوجاء ، مزَّقت جسد الحارس تمزيقًا ، وأطاحت بباب المركز ، وأطلقت كل صفارات الإنذار ..
وفى هدوء ، وكأنما الأمر لايَعْنِيه ، تجاوز (صفوت) الأشلاء والحُطام ، واتجه مباشرة إلى حجرة الدكتور (عبد الله) ، حيث تلك الخزانة ، التى تحوِى القرص ..
قرص الشيطان ..
واعترض حرَّاس المبنى طريقه ، وأطلقوا عليه أشعتهم اللَّيزريَّة ، التى بدت وكأنها تتلاشى على جسده ، وتنهار على ثيابه ..
وأطلق مسدَّسه الشيطانى العجيب قذائفه ..
وتفجَّرت الأجساد والأبواب ..
ودافع حارس الخزانة عنها فى استماتة ..
وانفجر جسد أحدهما بقنبلة شيطانية ، فالتقط الآخر جهاز إرساله الخاصّ ، وصاح فى توتُّر :
ـــ النَّجدة !! إننا نواجه هجومًا من شيطان .. شيطان لاتؤثِّر فيه أسلحتنا .. شيطان مَرِيد ..

كانت هذه آخر كلماته ..

لقد مزّقته قنبلة شيطانية أخرى ..

ولم تكن صفارات الإنذار قد توقّفت ، عندما وَطِئ (صفوت) أشلاء الحارس الأخير ، واتّجه نحو الخِزانة ، وصوّب إليها مسدّسه الشيطانيّ ، و .....

أطلق النار ..

وانفجرت الخِزانة ..

تمزّقت تمزيقًا ..

لم يبق منها سوى أكوام من الشظايا ..

والقرص الشيطانيّ ..

وحده بقى سليمًا ..

وحده لم يَمْسَسْه ضرر ..

وتألّقت عينا (صفوت) ، بذلك البريق الشيطانيّ ، وانحنى يلتقط القرص ، وهو يقول كالمنوّم .

ــ لقد حان موعد عودة سيّدى .. حان .

وغادر المكان حاملًا غنيمته الثمينة ..

وعاد الخطَر ..

* * *

٥ ــ عودة الشيطان ..

أدار الدكتور (عبد الله) عينيه فى أسًى ، فى كل ما حوله من خراب ودمار ، داخل إدارة البحث العلميّ ، ثم تطلّع فى توتّر وحزن إلى الخزانة المحطّمة ، وأشلاء جثث حراس أمن المبنى ، وزفر من أعمق أعماق صدره ، وهو يقول :

ــ إذن فهو لم يسرق سوى ذلك القرص الشيطانيّ ، على الرغم من كل ما أحاق به من دمار وخراب .

هتف أحد الحراس فى توتّر بالغ :

ــ إنه شيطان يا سيّدى .. إننى لم أرَ فى حياتى كلها ، فيما عدا ما شاهدته من أفلام الخيال العلميّ ، رجلًا واحدًا ، يهزم فريقًا من أبرَع رجال الأمن ، كما حدث هنا .

تمتم الدكتور (عبد الله) :

ــ ربما كان يرتدى دِرْعًا خاصًّا ، أو .....

هتف الحارس :

ــ وماذا عن ذلك المدفع ، الذى كان يحمله فى يده ؟

تنهَّد الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ أنت على حق يا ولدى .. يبدو أننا نواجه قوَّة غامضة .

هتف حارس آخر فى انفعال :

ــ بالتأكيد .. إننا حتى هنا لم نتوصَّل بعد إلى ذلك النوع من القذائف .. إنه كان يحمل مسدَّسًا عجيب الشكل ، صغير الحجم ، يُطلق قنابل شديدة التدمير .

أشار إليه الدكتور (عبد الله) أن يصمت ، وقال :

ــ ألم يعلم أحد أين ذهب ؟

قال حارث ثالث :

ــ لقد حاولنا تَتَبُّعه يا سيِّدى ، ولكنه اختفى فجأة من شاشة الرادار ، كأنما قد غاص فى أعماق الأرض .

ارتفع حاجبا الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ فى أعماق الأرض ؟!

بدت له الفكرة مخيفة ، حتى أنها بعثت فى جسده قُشَعْرِيرَة باردة ، قبل أن يستطرِد فى توتُّر :

ــ ولِمَ لا ؟..

واتَّسعت عيناه فى ذُعْر ، وهو يُرْدِف :

ــ يا إلهى !!.. لقد تحقَّقت مخاوف (نور) .. لقد عاد الرُّعْب .. عاد (ابن الشيطان) ..

* * *

تألَّقت عينا (صفوت) ، وهو يحمل القرص الشيطانىّ فى تقديس ومهابة ، ويضعه فوق مائدة صغيرة سَوْداء ، يعلُوها شمعدان ثُمانِىّ ضخم ، تشتعل فيه ثمانى شمعات سَوْداء ..

وتراجع (صفوت) فى بطء وازدادت عيناه تألُّقًا ، وهو يتطلَّع إلى القرص ، قبل أن يرفع ذراعيه عاليًا ، ويهتف :

ــ واسيِّدى .. وأباه العظيم .

برقت السماء إثر كلماته ، وانهمر منها مطر غزير ، وهو يتابع بصوت جَهْورِىّ :

ــ لقد أطعت .. وقاتلت .. والآن حانت لحظة العَوْدة .. عودة سيِّدى .

دَوَّى قصفُ الرعد فى قوّة ، واختلط بكلماته ، وهو يستطرد فى انفعال جُنُونى :

ــ الآن .. وعندما يحتفل أعداؤه بانتصارهم عليه ، سيعود سيِّدى .. سيعود .. الآن سأقرأ أنا .. مساعده البشرى المسكين اسم أبيه .. وسأعيده .. سأعيده إلى الأرض .



تألقت عينا (صفوت) وهو يحمل القرص الشيطانىّ فى تقديس ومهابة ،
ويضعه فوق مائدة صغيرة سوداء ..

وسقط على ركبتيه ، وبلغ صوته عَنان السماء ، وهو يَصْرُخ :

ـ سأقرأ النقش .

وبكلمات لا مثيل لها ..

بحروف شيطانية مجهولة ..

بكل الشرّ الرابض فى أعماقه ..

قرأها (صفوت) ..

قرأ الكلمة المَلْعونة ..

* * *

شهقة قويّة ، انطلقت من بين شفتى (نور) ، فى اللحظة ذاتها ..

شهقة أفزعت الجميع ، وفاجأتهم ..

وبنظرات ملؤها الدهشة والحَيْرة ، تطلّعوا إليه ..

وكانت (سلوى) أوّل من هتف :

ـ ماذا بك ؟

هزّ رأسه فى حَيْرة ، وانعقد حاجباه ، وتصبّب العرق على جبينه ، وهو يغمغم :

ـ لسْتُ أدرى .. لقد .....

أشار إلى قلبه ، وتردَّد لحظات ، ثم لم يلبث أن رسم على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ــ ربما هى غُصَّة عابِرَة .

صمتوا وهم يتطلَّعون إليه فى قَلَق وشكّ ، حتى أجبر نفسه على إطلاق ضحكة عالية ، وهو يقول :

ــ ماذا أصابكم ؟.. الأمر لا يستحق أن تتوتَّروا هكذا .. هيَّا .. فلنواصل الاحتفال بعوْدة زميلنا .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ وابنتنا .

وعاد الجميع إلى مَرَحهم ، فيما عدا اثنين ..

الدكتور (عزيز) ، الذى عقد حاجبيه فى قَلَق ، وهو يتطلَّع إلى (نور) ، محاولاً استشفاف ما أصابه ..

و (نور) نفسه ، الذى جمَّد ابتسامته على شفتيه ، وشَرَدَ ببصره بعيدًا ، وقد راحت عبارة (ابن الشيطان) الأخيرة تتردَّد فى عقله ، قويَّة عنيفة :

ــ سأعود .. سأعود .. سأعود ..

ولقد عاد ..

* * *

ارتجف جسد (صفوت) كله ، وراح يرتعد فى قوَّة ، وهو

يتطلَّع فى ذُعْر وذُهول إلى القُرْص المَلْعون ، حيث اندلع لسان من اللهب ، راح يتراقص ، ويتشكَّل فى بطء ، وبإيقاع مخيف مُتواتِر ، حتى بدا أشبه بجسد بشرىّ ، ثم تكثَّف ، وتجمَّد ..

وشهق الصحفىّ فى قوَّة ، عندما خبا اللهب فجأة ، واختفى القرص ، وظهر (بعلزبول الصغير) ..

(ابن الشيطان) ..

كانت عيناه تتَّقِدانِ بلهيب رهيب ..

لهيب ظَفَر وغَضَب ..

لهيب انتقام ..

ومضت لحظات ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قبل أن يقول بذلك الصوت العميق ، الذى يصعد من قرار الجحيم :

ــ لقد عُدْت .

قالها بلهجة شامتة ، غاضبة ، فازدرد (صفوت) لُعابه فى صُعوبة ، وغمغم فى صوت متحشرج :

ــ نعم يا سيِّدى .. لقد عُدْت .

اعتدل (ابن الشيطان) ، وقال فى صرامة :

ــ أجل .. لقد نفَّذتَ مهمَّتك بنجاح أيها الآدمىّ .

هتف (صفوت) فى لهفة :

ـ لقد قمت بما أمرتنى به تمامًا يا سيِّدى .. استخدمت كل ماتركته لى ، على نفس النحو ، الذى أمرتنى به تمامًا .. ذلك الجهاز الصغير حدَّد لى موقع القرص بمنتهى الدِّقَّة ، وسُتْرَة الدفاع وقتنى من كل ضربات اللِّيزر ، وذلك المسدَّس الرائع فتح لى كل الأبواب .. آه يا سيِّدى !! سترب‍ح المليارات ، لو أنك طرحت تلك المبتكرات الرهيبة ، فى سوق الحروب ، و .....

قاطعه (الشيطان الابن) فى صرامة :

ـ كَفَى .

أُطبَق (صفوت) شفتيه على الفور ، ولم ينبس ببنتِ شَفَة ، على حين استطرد الشيطان الصغير فى صرامة :

ـ لقد نفَّذت ما أمرتك أنا به .. أدَّيت مهمَّتك الوحيدة ، التى أعْدَدْتُك لها منذ البداية ، ولولا عبقريَّة ذلك الرائد ، ما قمت بهذه المهمَّة أبدًا .

ازدرد (صفوت) لُعابه مرَّة أخرى ، وغمغم :

ـ أأستحق جائزة يا سيِّدى ؟

ارتسمت على شفتى رمز الشرّ ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ بالطَّبع .

ثم أشار بيده ، مُرْدِفًا :

ـ أنت الآن تعلَم كل شىء عنّى أيها الآدمىّ .. تعلم مَنْ أنا .. ومَنْ أعدائى .. وكيف أواجههم .. بل وتعلم أيضًا كيف يمكنهم مواجهتى ، وبأىّ سلاح يهزموننى .. والأدهى أنك تعلم أيضًا كيف يمكنك إعادتى إلى أرضكم .

اشتمَّ (صفوت) من لهجته رائحة مخيفة ، فتمتم فى توتُّر :

ـ أظن أننى أستحق جائزة لهذا يا سيِّدى .

عادت تلك الابتسامة الغامضة إلى شفتى (الشيطان الابن) ، وهو يقول :

ـ سبق أن أخبرتك بحتميَّة حصولك عليها .

ثم استدرك بلهجة ساخرة :

ـ ولكن أى عمل ستقوم به فيما بَعْدُ ؟

تمتم (صفوت) ، وقد شعر بتوتُّر حقيقىّ يَسْرى فى عروقه ، ويسيطر على كل خليَّة من خلاياه :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

مطَّ سيِّده شفتيه ، ولوَّح بكفِّه ، قائلًا :

ـ من المؤسف أنك لن تفيدنى إلا على نحو محدود ،

فلا يوجد ما يمكنك أن تقوم به ، وأعجز عنه أنا ، سوى إعادتى
إلى الأرض .

واكتسى صوته برنة مخيفة ، وهو يستطرد :

ــ ولقد أقسمت ألا يحدث ذلك ثانية .

مرَّة جديدة ازدرد (صفوت) لُعابه ، وغمغم فى خوف :

ــ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

برقت عينا الشيطان الابن ببريق مخيف ، وهو يقول :

ــ أعنى أنه لم يَعُد هناك ما يمكن أن أمنحك إيَّاه ، سوى
تلك المكافأة ، التى حصل عليها (سِنِمَّار)(*) .

اتسعت عينا (صفوت) فى رُعب ، وهو يغمغم :

ــ (سِنِمَّار) ؟!

اتجه الشيطان الابن نحوه ، وهو يقول فى لهجة مخيفة :

ــ نعم أيها الآدمىّ .. ستنال جزاء (سِنِمَّار) .

راودت (صفوت) فى البداية فكرة الفرار ، ثم لم يلبث أن
أيقن استحالة ذلك ، وهو يواجه رمز الشرّ نفسه ، فانهار ،
وبكى وهو يقول فى ضراعة :

(*) (سِنِمَّار) : مهندس قديم ، طلب منه أحد الملوك أن يبنى له قصرًا يزخر بالأنفاق السِّرِّيَّة ، وبعد أن صنعها له (سِنِمَّار) ، قتله الملك ، حتى لا يعلم أى مخلوق سِرّ الأنفاق ، وأصبح ما حصل عليه (سِنِمَّار) مثلًا يقال فى الخيانة .

ــ الرَّحمة يا سيِّدى .. الرَّحمة !! أنا أعدتك إلى الأرض ..
الرَّحمة !!

أطلق (ابن الشيطان) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ الرَّحمة ؟!.. ألم أخبرك من قبل ، أن قاموسى لا يحوى
تلك الكلمة أبدا .

ثم وضع كفَّيه على كتفى (صفوت) ، وهو يصرخ فى
قسوة :

ــ أبدا .

انطلقت من كفِّه اليُسرَى بغتة صاعقة قويَّة ، سَرَت فى
جسد (صفوت) ، الذى ارتجف ، وجحظت عيناه فى قوَّة ،
قبل أن تمتص يد الشيطان الصغير اليمنى الصاعقة ، ويسقط
(صفوت) جُثَّة هامدة ..

وبابتسامة ساخرة ، غمغم (مبعوث الجحيم) :

ــ أكنت تتوقَّع أكثر من ذلك منِّى أنا ؟!

وأطلق ضحكة ساخرة أخرى ، ثم عادت ملامحه تكتسى
بالشراسة ، وهو يستطرد :

ــ والآن .. لم يَعُد أمامى سوى حفيد (أوزيريس) ..
وستكون المعركة هذه المرَّة حاسمة .. ونهائية ..

* * *

٦ ـ المفاجأة ..

لم ينجح (نور) أبدًا فى الاندماج بالحفل ..

كان يشعر طيلة الوقت بقلَق غامض ، ينتزع منه كل إحساس بالبهجة أو المَرَح ..

ولقد قاوم رغبته الشديدة ، فى الاتصال بإدارة البحث العلمىّ ، للاطمئنان على القرص ، الذى لم يكن قد علم بَعْدُ بما حدث له ..

ولقد لاحظت (سلوى) شروده ، فمالت عليه ، وهمست فى قَلَق :

ـ (نور) .. ماذا بك ؟.. إنك تبدو قلقًا ومتوتّرًا للغاية .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ أتعنين أننى أفسد الحفل ؟

ربّتت على كتفه فى حنان ، وغمغمت مُشْفِقَة :

ـ إلى حدّ ما .

غمغم فى توتُّر :

ـ سأحاول إخفاء ذلك .

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت فى حنان :

ـ سيزيدك ذلك توتُّرًا ..

ومالت نحو أذنه ، مستطردةً فى همس :

ـ سأحضر لك قرصًا مهدِّئًا .

غمغم فى حَنَق :

ـ إننى أكره هذه الأشياء .

ابتسمت قائلة :

ـ للضرورة أحكام .

تركته واتجهت نحو حمّام المنزل ، لتحضر قرصًا مهدِّئًا من الصيدلية الصغيرة ، ووقفت أمام مِرآة الصيدليّة ، مغمغمة :

ـ (نور) شديد التوتُّر هذا المساء .. قصّة ذلك الشيطان تقلقه حقًّا ، على الرغم من ......

بترت عبارتها بغتة ، وتجمّدت يدها المتجهة إلى مقبض صيدلية المنزل ، واتسعت عيناها فى ذُعْر ورُعب هائلين ، وهى تحدّق فى المرآة ، التى نقلت صورتها ، وصورة شخص آخر من خلفها ..

صورة (ابن الشيطان) ..



حدث ما يخالف كل القواعد العلميَّة المعروفة ..
لقد امتدَّت يد الشيطان الابن عبْرَ المرآة ..

وفى رُعب استدارت (سلوى) خلفها ، وهى تتوقَّع أن تجد مبعوث الجحيم هذا ، ولكن ..

لم يكن هناك أحد ..

كان الحمَّام خاليًا تمامًا ..

وبسرعة عادت تلتفت إلى المرآة ، وشهقت فى رُعب ..

كان ذلك الشيطان الابن هناك فقط ..

كان داخل المرآة ، وليس خارجها ..

وفى هذه المرَّة كان يبتسم ..

ثم اتجه نحوها فى هدوء ..

كان يبدو فى المرآة وكأنه يأتى من خلفها ، ولكنها كلما استدارت لم تجد شيئًا ..

وقال (مبعوث الجحيم) فى شراسة :

ـ لقد عُدت ..

وفجأة ، حدث أعجب شىء فى الدنيا ..

حدث ما يخالف كل القواعد العلميَّة المعروفة ..

لقد امتدَّت يد الشيطان الابن عبْرَ المرآة ..

خرجت اليد من المرآة ، كأنما هى صورة هولوجرافية مجسَّمة ، ولكنها عندما قبضت على عُنق (سلوى) ، كانت يدًا حيَّة قويَّة ..

وكانت تضغط عُنق (سلوى) ، وتجذبها إلى ذلك العالم المُذْهِل ..

عالَم المرآة ..

* * *

كانت (نشوى) تجلس هادئة ، إلى جوار خطيبها (رمزى) ، عندما قفز إلى قلبها فجأة شعور بالخوف ..

الخوف على أمها ..

لم يكن لهذا الشعور ما يبرّره فى نظرها ، والمكان كله يبدو هادئًا على هذا النحو ، ولكنه كان يضرب مشاعرها فى قوّة وعُنف ..

وأخيرًا ، وجدت نفسها عاجزة عن مقاومته ، فنهضت بغتة ، مما أثار دهشة (رمزى) ، فسألها فى حَيْرة :

ـ ماذا هناك ؟

ابتسمت فى صعوبة ، وغمغمت :

ـ لا شىء .. فقط أشعر ببعض الصُداع .. سأذهب إلى الحمّام ، لتناول قرص مُسكّن .

تمتم فى حنان :

ـ لا بأس .

بحثت بعينيها عن أمّها ، وهى تندفع نحو الحمّام ، ولكنها لم تجدها ، فتضاعف ذلك الشعور بالقلق فى أعماقها ، ودفعت باب الحمّام فى قوّة ، وتركته يُغلق خلفها آليًا ..

ثم سمّرها الرُعب فى مكانها ..

كانت أمّها تقف هناك ، أمام المرآة ، وهى تقاوم فى شراسة يدًا مخيفة ، برزت من المرآة ، وقبضت على عنقها ، وراحت تجذبها إلى داخل المرآة ..

وصرخت (نشوى) :

ـ أمّاه ..

التفتت إليها (سلوى) ، وصرخت فى صوت مُختَنِق :

ـ النّجدة !! النّجدة يا (نشوى) !! إنه يجذبنى إلى عالَمه .

اندفعت (نشوى) نحو أمّها ، ولكنها لم تكد ترى وجه الشيطان الابن فى المرآة ، حتى تراجعت فى رُعب ، ولكن أمّها عادت تصرخ :

ـ النجدة !! أنقذينى يا بنيّتى .

لم تدرِ (نشوى) ماذا تفعل ، فقاومت رُعبها ، واندفعت مرّة أخرى نحو أمّها ، وراحت تجذبها فى الاتجاه المضادّ ، والشيطان الابن يطلق ضحكاته الساخرة ، ويهتف :

ـــ اجذبى .. اجذبى فى قوّة ، ولنرَ من منّا يفوز برأسها ..

كان الجذب من الناحيتين يكاد يقتلع عنق (سلوى) بالفعل ، ولقد اختنقت فى شدّة ، وجحظت عيناها فى ألم ..

وأدركت (نشوى) أنها بذلك تقتل أمها ، فراحت تصرخ فى انهيار :

ـــ النّجدة يا أبى !! النّجدة !!

ولكن الجدران العازلة للصوت حجبت صرختها عن أبيها ..

ولأوّل مرّة فى حياتها تكره تلك الجدران الحديثة ..

وفجأة ، ومع ذِرْوَة يأسها ، بدا أمامها حلّ وحيد ..

لقد التقطت أوّل جسم صلب ، أدركته يدها ، وألقته نحو المرآة ..

وتحطّمت المرآة ..

وتردّدت فى المكان صرخة الشيطان الأبن ..

ثم تلاشت يده ..

انهار عالمه بتحطيم المرآة ..

انهار خطره دفعة واحدة ..

وشهقت (سلوى) فى ألم ، وراحت تلتقط الهواء فى ذُعر ، وسرعة ، وهى تلهث من فرط الانفعال ، وأسرعت ابنتها تحيط كتفها بذراعها ، وهى تهتف فى جزع وحنان :

ـــ أمّاه .. أأنت بخير ؟!

أومأت (سلوى) برأسها فى انهيار ، وهى تغمغم :

ـــ نعم .. نعم .. أنا بخير .

ثم استطردت فى هَلَع :

ـــ أين (نور) ؟

أجابتها (نشوى) :

ـــ إنه فى الخارج .. كلهم هناك بخير حال .

انفجرت (سلوى) باكية ، وهى تهتف :

ـــ كيف تركتنى ؟.. كَيف لم يُهْرَع لنجدتى ؟

احتضنتها ابنتها فى إشفاق ، وقالت :

ـــ لم يعلم يا أمّاه .. تلك الجدران عازلة للصوت .. إنه حتمًا لم يعلم .

هتفت بها (سلوى) فى رُعْب :

ـــ دَعِينا نغادر هذا المكان .. إننى أشعر برُعب هائل .

أجابتها فى إشفاق :

ـــ سنغادره يا أُمّاه .. سنُغادره ..

عاونتها على النهوض ، وعلى مغادرة الحمّام ..

وفى الخارج كان الباقون منهمكين فى مناقشات سياسيّة واقتصاديّة ، عندما وقعت عيونهم على (سلوى) و (نشوى) ..

وتجمَّدت الدماء فى عُروقهم بغتة ..

كان مشهد الاثنين لا يحتاج إلى شرح أو تفسير ..

لقد كان يحمل المعنى كاملًا ..

الرُّعب ..

وعندما نطقت (سلوى) ، حملت كلمتها ما جمَّد الدماء فى عروقهم ، وهى تقول فى صوت مرتجف فى شِدَّة :

ــ لقد عاد .

امْتُقِعَتِ الوجوه ، وشَحُبت ، واتَّسعت العيون ، و .....

وفجأة ، ردَّدت الجدران ضحكته ..

ضحكة (ابن الشيطان) ..

* * *



٧ ــ حفل الرُّعب ..

كانت ضحكة مُرْعِبَة ..

مرعبة بحق ..

ولقد ردَّدت الجدران صداها لدقيقتين كاملتين ، بعد أن تلاشت الضحكة نفسها ..

ثم هتف الدكتور (عزيز) فى ارتياع :

ــ إنه هو ..

هبَّ (نور) من مقعده ، هاتفًا :

ــ نعم .. هو .

ثم اندفع نحو زوجته ، وأمسك كتفيها ، هاتفًا :

ــ أين هو ؟.. أين ؟

أشارت إلى الحمَّام ، مغمغمة فى رُعْب :

ــ هناك .

اختطف قاذفة اللهب الصغيرة ، التى لم تفارق حزامه أبدًا ، منذ واجه (ابن الشيطان) ، واندفع نحو الحمَّام ، ودفع بابه فى عنف ، وتلفَّت حوله متحفزًا ، قبل أن يصل إليه صوت ابنته ، وهى تقول فى مرارة :

— إنه لم يَعُدْ هناك .

استدار إليها فى حَنَق ، وهتف :

— أين ذهب ؟.. أين ؟

هزَّت رأسها فى يأس ، وغمغمت :

— لست أدرى .. لقد كان هناك ، داخل المرآة ، يحاول جذب أمى إليها ، ثم اختفى عندما حطَّمتها .

تمتم (محمود) فى ذهول :

— داخل المرآة .

انتفض الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

— نعم .. داخلها فقط .

هزَّ (محمود) رأسه فى حَيْرة وتوتُّر ، وهو يغمغم :

— مستحيل يا دكتور (عزيز) !!.. هذا يخالف كل القواعد العلمية المعروفة ، ويناقض كل الـ.....

قاطعه الدكتور (عزيز) هاتفًا :

— أيَّة قواعد علميَّة يا ولدى .. إننا نتحدَّث عن مخلوق ، هو فى حدّ ذاته تحطيم للقواعد العلمية المعروفة ، فكيف تتطلَّب منه أن يتبعها ؟

تمتم (محمود) فى تشكُّك ، لم يَخْلُ من نَبْرة خوف :

— ولكن داخل المرآة ؟!..

تلفَّت الدكتور (عزيز) حوله ، وهو يقول فى توتُّر :

— تذكَّر أنه نصف آدمىّ فحسب ، أمَّا نصفه الآخر فشيطانىّ بحت ، وهذا يَعْنِى أنه يملك جواز المرور بين عالَمَى الجنّ والإنس ، وعالَم الشياطين أيضًا .. إنه المخلوق الوحيد فى الكَوْنِ ، الذى يجُوب العوالم كلها بلا حواجز .

قال (نور) فى حِدَّة :

— ليس الوحيد .. هناك الملائكة .

هتف الدكتور (عزيز) :

— ولكنهم قلَّما يغادرون عالَمهم يا ولدى ، وهم لا يفعلون إلا لأداء مهام محدودة .

صاح (نور) فى غضب :

— ولكن هذا المخلوق البغيض هو أكثر المخلوقات كفرًا وإلحادًا .

تردَّد الدكتور (عزيز) لحظة ، ثم غمغم :

— كفرًا نعم .. فهو يكفر بكل النعم ، التى منحه إيَّاها الله (سبحانه وتعالى) ، ولكنه ليس ملحدًا .

هتف (رمزى) فى غضب :

— ماذا تقول يا سيّدى ؟.. إننا نجد الملحدين بين بنى البشر، فكيف تدّعى أن (ابن الشيطان) نفسه ليس كذلك.

لوّح الدكتور (عزيز) بكفّيه ، مغمغمًا :

— رُوَيْدَك يا ولدى .. لا تناقش تلك الأمور من منطق العِناد أو التعصُّب الأعمى ، فالمنطق وحده ينتصر فى النهاية ، حتى ولو كان الشيطان وحده الذى يملكه .

وأدار عينيه فى وجوه الجمع المستنكر ، وهو يستطرد :

— ماذا يَعْنى الإلحاد ؟.. إنه يَعْنى ببساطة عدم الإيمان بوجود الخالق (عز وجل) .. وهذا لا ينطبق أبدًا على الشيطان أو ابنه ، وإلّا فما كان لصراعهما الدائم مبرّر .. فعدم وجود خالق يَعْنى أنهما يملكان قوة مطلقة .. ومن يملك القوة المطلقة لا يقاتل بكل هذا العنف والإصرار .. ثم إن الشيطان يؤمن تمامًا بوجود الخالق ؛ لأنه كان أحد ملائكته فيما مضى ، ثم رفض أن يسجد لـ (آدم) ، فأصبح شيطانًا .

قال الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهو يتلفّت حوله :

— وما زال يرفض السجود يا سيّدى ؟

هتف (نور) :

— ولكنه هنا .. فى مكان ما هنا .

لم يكد يلقى عبارته ، حتى تفجّرت تلك الضحكة الساخرة مرّة أخرى ، وتبعها صوت ساخر ، يقول :

— نعم .. أنا هنا .

وهنا بدأ حفل الرُّعب ..

بدأ بتشقق فى سقف المنزل ..

ثم تساقطت قطرات الدم من الشُقوق ..

أمطار من الدم لوّثت كل شىء ..

الأثاثات ..

الأرضيّات ..

الوجوه ..

وصرخت (سلوى) فى رُعب :

— أوقفوه .. أوقفوا ذلك العبث الشيطانىّ .

أمّا (رمزى) ، فراح يردّد فى ذُهُول :

— مستحيل !! هذا مستحيل !!

وهتف الدكتور (حجازى) :

— وَهْم .. كل هذا مجرّد وَهْم .

ومسح الدكتور (عزيز) ذلك الدم ، الذى غطّى وجهه ، وغمغم :

— بل حقيقة .. حقيقة قاتلة .

ولكن (محمود) و (نشوى) لم ينبسا بحرف واحد ..

لقد التصقا بالحائط فى رُعب هائل ..

وصرخ (نور) :

ــ اظهر أيها الجبان الحقير .. اظهر وواجهنى .

ارتجَّ المكان للمرَّة الثالثة بالضحكة الشيطانية ، وبصوت ساخر يقول فى قوَّة :

ــ ألقِ قواعدك جانبًا هذه المرَّة ، أيها الرائد ، سنلعب هذه المرَّة بقواعدى أنا .

واحتشدت كلماته بالشماتة والظَّفر ، وهو يستطرد :

ــ وبجنودى ..

وعلى الفور ، دبَّت الحياة فى قطرات الدم ، فنهضت .. وانتصب أمام العيون الملتاعة جيش رهيب ..

جيش من الدم ..

* * *



ولكن (محمود) و (نشوى) لم ينبسا بحرف واحد ..
لقد التصقا بالحائط فى رُعب هائل ..

٨ ـ المعركة ..

حدّقت العيون فى ذلك الجيش الرّهيب فى رُعْب ..

كان جيشًا من جنود من الدم ..

أشباه بشرية ..

كائنات بلا حدود أو أطراف ..

فقط هناك عيون ..

عيون نارية شيطانية ، تحدّق فى الجميع ..

ثم بدأ الجيش زحفه ..

والتصق الجميع بالحائط ، فيما عدا الدكتور (حجازى) ، الذى يعيد إليه الالتصاق بالحائط ذكرى مُرْعِبة(*) ، و (نور) ، الذى رفض التراجع فى عِناد ..

وهتفت (سلوى) فى رُعْب :

ـ ماذا سيفعلون بنا يا (نور) ؟

(*) راجع الجزء الأوّل .. (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

انتزع مسدّسه اللّيزرىّ من حزامه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لن يقتلنى هذا السؤال يا (سلوى) ، فأنا واثق من أنهم لا يضمرون لنا خيرًا .. السؤال الحقيقى هو كيف ؟

وأطلق مسدسه اللّيزرىّ نحو أقرب جنود الدم إليه ، وهو يستطرد :

ـ كيف يمكن القضاء عليهم ؟

أصابت أشعة اللّيزرى الجندىّ الدموىّ ، واخترقته مخلّفة ثقبًا مُستديرًا ، ثم لم يلبث الدّم أن كساه ، دون أن يتوقّف الجندىّ المخيف ، أو يتزحزح ..

وهتف (رمزى) :

ـ لا فائدة يا (نور) .. لا شىء يقتلهم .. إنهم صنيعة شيطان .

عقد (نور) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ بئس الصنيعة .

وأطلق مسدّسه اللّيزرىّ مرّة ثانية فى حزم ..

أطلقه نحو عين الجندىّ تمامًا ..

نحو تلك العين النارية الملتهبة ، الشبيهة بعين (ابن الشيطان) ..

وترددت فى المكان صرخة ألم ..
صرخة انطلقت من كل الجدران فى آن واحد ..
صرخت جمّدت الدماء فى عروق الجميع ..
وتلاشى الجندىّ فجأة ..
عاد إلى حجمه وكيانه الطبيعيين ..
مجرّد قطرة دم ..
ومن العجيب أنه لم يفعل هذا وحده ..
كل الجنود الدمويّين تلاشوا دفعة واحدة ..
انهار الجيش كله بطلقة واحدة ..
وتلاشت الصرخة ..
وساد الذّهول لحظة ، ثم هتف (محمود) فى فرح :
ــ لقد انتصرنا يا (نور) .. انتصرنا .
أعاد (نور) مسدّسه اللّيزرىّ إلى حزامه ، وهو يقول فى صرامة :
ــ ليس بعد يا (محمود) .. لقد بدأت المعركة على التوّ ، ولن تنتهى على هذا النحو .
التصق به الدكتور (حجازى) بغتة ، وهو يهتف فى رُعب :

ــ صدقت يا (نور) .. لقد بدأت المعركة .
استدار الجميع إلى حيث يشير الدكتور (حجازى) ، وأدركوا ما كان يعنيه بكلماته ..
لقد كان يشير إلى باب المنزل ، حيث يقف محارب ..
محارب رومانى قديم ، بدُروعه الحديدية ، وخوذته ذات الرّيش ، وسيفه الضخم القوىّ ..
وفى تلك الصورة ، كان هناك اختلاف واحد ..
لم يكن ذلك المحارب بشريًّا ..
كان هيكلًا ..
هيكلًا عظميًّا مقاتلًا ..

* * *

يمكن الجزم ، دون مبالغة ، بأن الشعور الذى ساد المكان فى هذه اللحظة هو الرُّعب ..
مع قليل من الذّهول ..
ولمسة استنكار ..
وفى خوف واضح ، غمغمت (نشوى) :
ــ أى عبث هذا ؟
استلّ (نور) مسدّسه اللّيزرىّ مرّة أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بل قُولى أى عبث شيطانىّ هذا ؟

غمغم (رمزى) ، وهو يحدّق فى الهيكل العظمىّ ، الذى وقف عند الباب جامدًا ، كتمثال من الشمع :

ـ كيف يمكنك أن تقتل مثل هذا الشىء ؟.. إنه ميّت فعليًا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ العينـان .. ذلك الشيطـان الصغير يقود كل ذلك بعينيه .

تطلّع الجميع إلى عينى الهيكل العظمى ، وأدركوا ما يَعْنيه (نور) ..

فهناك .. فى موضع العينين ، حيث كان ينبغى أن توجد فجوتان مظلمتان ، كانت هناك عينان ..

عينان ملتهبتان بلهيب شيطانىّ ..

وأطلق (نور) أشعة مسدّسه نحو إحداهما ..

وارتفع سيف المقاتل العظمىّ فى سرعة مذهلة ، واستقبل الأشعة على نصله ، وعكسها ، ثم شَهَرَ سيفه بوقفة استعداديّة قتالية ، وانبعث من داخله صوت الشيطان الابن نفسه ، وهو يقول :

ـ إنه ليس هيكلًا عظميًا عاديًا أيها الرائد .. إنه هيكل مقاتل رومانىّ قديم ، قتلته أنت فى حياة سابقة ، حينما كنت تحمل اسم (دوكاكوس) الرومانىّ .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ـ ولقد أعدته لينتقم .

وهنا تألّقت عينا الهيكل العظمىّ ورفع درعه أمام جسده ، ولوّح بسيفه فى بطء ، وصوت الشيطان الابن يتصاعد :

ـ ها هو ذا غريمك (دوكاكوس) يا (سيزار) .. الثأر لنفسك .. انتقم .

وأطلق الهيكل العظمى صرخة مُرْعِبة ، ثم انقضّ على (نور) ..

* * *

كان من الواضح أن هيكل (سيزار) يجعل هدفه (نور) وحده ..

لقد انقضّ عليه مباشرة ، وهوَى على رأسه بسيفه الضخم ، ولكن (نور) قفز جانبًا ، وترك السيف يرتطم بالأرض ، على حين اعتلى هو أريكة جانبية ، وقفز من فوقها ، ليتجاوز الهيكل ، ثم دار على عَقِبَيْهِ فى سرعة ، وركله فى مؤخرة عنقه بقوّة ..

وسقط الهيكل إلى الأمام ، ثم قفز واقفًا على قدميه فى سرعة مذهلة ، وازداد تأجُّج لهيب عينيه ، وهو يهوى بسيفه مرَّة أخرى على (نور) ..

وتفادى (نور) السيف للمرَّة الثانية ، ومال يسارًا ، ثم قفز إلى أعلى وضمَّ ركبتيه إلى صدره ، ودفع قدميه فى صدر الهيكل ، الذى استقبل ضربة (نور) على درعه ، ودفعه بعيدًا ، فسقط على ظهره ، ودار حول نفسه دَوْرة رأسية ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، يواجه الانقضاضة الجديدة ..

وهتفت (سلوى) فى رُعْب :

ـــ هل سنترك (نور) ؟.. هل سنتركه يواجه هذا الخصم وحده ؟

تبادلوا نظرات التوتُّر ، ثم هتف الدكتور (عزيز) :

ـــ لا أحد يمكنه أن ينضمَّ إلى ذلك (الصراع الجهنمي) يا سيِّدتى .. إنه صراع يقتصر على مقاتلين فحسب .

قفز (رمزى) ينتزع من على الحائط ذلك السيف ، الذى احتفظ به (نور) كتذكار ، بعد أن هزم الشيطان فى منزل جَدِّه الريفى ، وهتف وهو يلقى به نحو (نور) :

ـــ يمكننا أن نعاون رجلنا على الأقل .

التقط (نور) السيف فى اللحظة الأخيرة ، وأداره ليتلقَّى عليه ضربة سيف المصارع الرومانىّ القديم ، وليبدأ معه تقارع السيوف ..

ولولا أن الجميع يعلمون أنهم فى القرن الحادى والعشرين ..

وأنهم فى منزل (نور) ، لتصوَّروا أن الزمن قد نقلهم إلى العصر الرومانىّ ، فى عهد سيادة الإمبراطورية الرومانية ، وإلى ساحة من ساحات المصارعة التقليديَّة فى ذلك الزمن ، حيث التقى اثنان من أبرع المصارعين ، فى مبارزة تنتهى حتمًا بخسارة أحدهما ..

ومصرعه ..

ولقد بدا لهم (نور) عجيبًا ..

بدا كمصارع رومانىّ قديم بالفعل ، وهو يصدُّ ضربات المقاتل العظمىّ ، ويكيل له ضربات أقوى ..

كان يبدو كما لو أن روح المصارع الرومانىّ القديم قد عادت إلى جسده ، وأعادت إليه روح الصراع ، والمهارات القتالية القديمة ..

وبالنسبة إلى (نور) كان ذلك حقيقة ..

إنه لم يَعُد يرى منزله وأصدقاءه وعائلته ..

لقد كان يرى ساحة مصارعة رومانية من حوله ..

والآن صار للمقاتل العظمىّ وجه ..

وجه مقاتل رومانىّ قديم ..

وراح (نور) يقاتل فى شراسة ..

وصدّ سيفه عشرات الضَّربات ..

وألقى عشرات مثلها ..

ولكن فجأة ، ارتطم (نور) بشىء ما ..

وسقط ..

وفى تلك اللحظة ارتفع سيف المقاتل الرومانىّ عاليًا ، وصرخ فى ثورة ، وبكلمات تقطر بالحِقد والغضب :

ـ لقد سقطت يا (دوكاكوس) ، والآن مُت .. مُت ..

وهوَى سيفه على جسد (نور) .

* * *

٩ ـ بلا رحمة ..

التدريبات المكثّفة ، التى يتلقّاها رجال المخابرات العلمية المصرية ، والتى تطوّرت كثيرًا ، مع مطلع القرن الحادى والعشرين ، كان لها الفضل ، كل الفضل ، فى إنقاذ (نور) هذه المرّة ..

لقد أعادته سقطته إلى عالمه ..

تلاشت حلبة الصراع الرومانية من حوله ..

ورأى منزله ..

وأسرته .

وأصدقاءه ..

ورأى مقاتلًا عظميًا يَهوِى على رأسه بسيف قاتل ضخم ..

وبسرعة البرق قفز (نور) جانبًا ..

وقبل أن يدرك أحد الحاضرين مايحدث ، انتزع مسدّسه اللّيزرىّ ، وأطلق أشعته ..

أطلقها على عين الهيكل المقاتل تمامًا ..

واخترقت الأشعة العين الشيطانية ..
وانطلقت صرخة (ابن الشيطان) ..
وارتطم السيف الثقيل بالأرض ..
وتلاشى كل شىء ..
اختفى المقاتل العظمىّ بغتة ، كأنما تبخّر فى الهواء ..
وتمتم (رمزى) مشدوهًا :
ــ العين .. دائمًا العين .
نهض (نور) فى بُطء ، وهو يغمغم :
ــ نعم .. كل هذه الأشياء أوهام ، يحرّكها ذلك الشيطان الصغير ، وكلها ترى بعينيه ، وإصابة العينين تُفقده سيطرته عليها ، فتتلاشى أمام أعيننا .
انحنى (محمود) يتحسّس الجزء المحطّم من أرضية المنزل ، الذى أصابه نصل السيف ، قبل أن يتلاشى ، وقال فى توتّر :
ــ عجيبة هى هذه الأوهام يا (نور) .. الأوهام التى أعرفها لا تترك مثل هذه الآثار المخيفة .
تمتم الدكتور (عزيز) :
ــ هذا بالنسبة للأوهام التى نعرفها .. إننا الآن نواجه خصمًا يتبع كل القواعد ، التى تحطّم ما نعرفه من قواعد .

قالت (نشوى) فى عصبيّة
ــ تعْنِى أنه لا يتبع أيّة قواعد .
قال (نور) ، وهو ينفض غبارًا وهميًا عن ثيابه :
ــ بل إنه يتبع القواعد يا عزيزتى .. قواعده .
هتف (رمزى) فى حِدّة :
ــ إذن فهو يتبع مليون قاعدة على الأقل ، فمن المستحيل استنتاج خطوته التالية .
نهض الدكتور (حجازى) ، قائلًا فى توتّر :
ــ لن أنتظر تلك الخطوة التالية ..
واتجه نحو الباب ، مستطردًا :
ــ سأرحل .
لم يحاول أحدهم منعه ، وكأنما بدا لهم أنه على حقّ ، وأنه ليس من المنطقى أن يبقى أى مخلوق فى هذا المكان الجهنمىّ ، ما دام ليس طرفًا فى هذا الصراع الشيطانىّ ..
ولكن الدكتور (حجازى) توقّف بغتة ..
توقّف دون سابق إنذار ، وكأنما أخجله موقفه ..
ثم استدار إليهم ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، إلّا أن تلك الانفراجة تجمّدت بغتة ، وأطلّت من العينين نظرة رُعب ، وهما تحدّقان فى نقطة ما ، خلف رفاقه ..

ودون أن يسأل أحدهم عمّا يعنيه ذلك ، التفتوا جميعًا إلى الوراء ..

وفى هذه المرّة أيضًا ، ظلّ الصمت سائدًا ..

لقد احتبست صرخات الرُّعب فى الحُلوق ..

فهناك ..

فى ذلك الموضع ، الذى كان يحتلّه الجدار الخلفىّ للمنزل ، امتدّ شاطئٌ رملى كبير ، ينتهى ببحر متلاطم الأمواج ..

وكان هناك قمر ..

ونجوم ..

كان المنزل كله قد تحوّل إلى جزيرة ..

جزيرة وسط محيط ..

محيط بلا نهاية ..

* * *

لم ينكسر جدار الصمت لدقيقتين كاملتين ..

كان الجميع يحدّقون فى ذلك المشهد فى ذُهُول تام ..

وفى بطء ، تناهَى إلى مسامعهم صوت الأمواج ، وهى تتتابع فى حيويّة وخفة ، لتلقى حتفها كلها على الشاطئ ..

وكان القمر يلقى ظلًّا هادئًا ..

وفى أيّة ظروف أخرى طبيعية ، كان هذا المشهد سيبدو عاطفيًّا ، شاعريًّا ، ساحرًا ..

أما الآن ، فقد بدا مرعبًا ..

مرعبًا بحق ..

وفجأة ، انكسر جدار الصمت ، بصوت الدكتور (حجازى) المتحشرج ، وهو يقول :

ـــ مستحيل !! ..

قال هذا ، بكل ما يملأ نفسه من رُعْب وذُهُول ، ثم اندفع نحو الباب ، وفتحه ..

وفى هذه المرّة تراجع فى حِدّة ، كمن هَوَت على رأسه صاعقة ..

لقد كانت هناك أمواج ، ورمال أيضًا ..

وهتف (نور) :

ـــ إنها جزيرة .. لقد نقل ذلك الشيطان منزلنا إلى جزيرة مجهولة ، وسط المحيط .

تردّدوا بضع لحظات ، ثم غادروا المنزل إلى الشاطئ ، واحدًا بعد الآخر ..

وضمهم الشاطئ جميعًا ..

وغمغمت (سلوى) :

ــ أين نحن ؟!

رفع الدكتور (عزيز) عينيه إلى السماء ، وتطلّع إلى النجوم بعض الوقت ، قبل أن يتمتم فى توتُّر :

ــ طبقًا لمعلوماتى المحدودة ، فى علم الفلك ، أظن أننا فى بقعة ما ، بين المحيط الهندى ، والبحر الأبيض المتوسط .

غمغمت (نشوى) فى عصبيّة :

ــ فليذهب الموقع إلى الجحيم .. سأتظاهر بأن شيئًا لم يحدث ، وأذهب إلى حجرتى ، و .....

بترت عبارتها وهى تستدير ، وأطلقت شهقة ذُعر ، جعلتهم يلتفتون إليها جميعًا ..

وأعقبت شهقاتهم شهقتها ..

لقد استداروا فوجدوا أنفسهم فوق جزيرة رملية قاحلة ، وسط محيط هائل ..

فقط ..

أىْ أنه لم يكن هناك منزل ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

* * *

فقدت (سلوى) سيطرتها على أعصابها ، عند هذه النقطة ، وراحت تصرخ فى انهيار ، هاتفة :

ــ لا .. مستحيل !!.. مستحيل !

اندفع (رمزى) نحوها ، وصفعها فى قوّة ، فتطلّعت إليه فى ذُهول ، ثم انفجرت باكية ، وألقت نفسها بين ذراعىْ زوجها ، الذى ربّت على رأسها فى حنان ، و (رمزى) يغمغم :

ــ معذرة يا (نور) .. كان من الضرورىّ أن أفعل هذا ، وإلّا أصابها انهيار عصبىّ عنيف .

تنهّد (نور) ، وغمغم :

ــ أعلم ذلك .

ثم انحنى يُجلس زوجته أرضًا ، وعاد ينهض ، ويتطلّع إلى حيث كان منزله ، وزفر مرّة أخرى فى قوّة ، مغمغمًا :

ــ ماذا يحدث ؟!

أجابه الدكتور (عزيز) بصوت مرتجف :

ــ هذا الشيطان الابن يمتلك القدرة على اختراق الزمان والمكان .. ولقد دفعنا فى نهر قوّته ، فعَبَرَ بنا هذين البُعْدَيْن ، وألقانا هنا .

لوَّح (نور) بذراعه ، هاتفًا :

ــ ولكن لماذا ؟

أجابه الدكتور (عزيز) فى مرارة :

لتخلُوَ له الساحة .

صاح (نور) فى حِدَّة :

ــ أيَّة ساحة ؟!.. لقد كانت الساحة كلها خالية له ، ولكنه هو الذى أقحم نفسه فى حياتنا ، وراح يصارعنا فى شراسة ، دون سابق إنذار ..

شعر بـ (محمود) يمسك ذراعه فى قوّة ، وهو يقول فى صوت مرتجف :

ــ (نور) .. أنا أعلم لماذا أتى بنا إلى هنا ؟

التفت إليه (نور) فى حِدَّة ، وهو يهتف :

ــ لماذا ؟

أشار (محمود) إلى الشاطئ ، وقال فى رُعب :

ــ ليطعم هذه الحيوانات .

التفت الجميع إلى حيث أشار ، ورأوا مئات .. بل آلافًا من السرطانات البحرية ، تصعد إلى الشاطئ ، وتتجه نحوهم ..

لقد حان موعد وجبتها ..

* * *

١٠ ــ جزيرة المـوت ..

كان هناك آلاف من تلك المخلوقات الصغيرة .. وكانت كلها تزحف نحو (نور) ورفاقه ، من جميع الاتجاهات ..

دائرة وحشية صغيرة ، تُطبق فى بطء على الفريق كله ..

مئات الآلاف من المخالب الصغيرة ، تتقدَّم نحوهم ، وتتلهَّف لالتهامهم ..

وانتزع (نور) مسدَّسه اللّيزرىّ ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ سنُوقفهم .

وراح يطلق أشعة مسدَّسه يَمْنَةً ويَسْرَةً ..

وقتل عشرات السرطانات ..

ولكن المئات غيرها صعدت من البحر إلى الشاطئ ..

آلاف المخالب الجديدة كانت تنضمّ لقافلة المَوْت ، كلما حطَّمت أشعة اللّيزر مخلبًا واحدًا ..

وكان الموقف يدعو لليأس حقًّا ..

وغمغم (رمزى) فى مرارة :

ـ كم واحدة ستقتل يا (نور) ، قبل أن تنفذ طاقة مسدسك ؟

خفض (نور) مسدسه فى يأس ، وهو يقول :

ـ أقل من عُشرهم .

وراحت حلقة الموت البشعة تضيق .. وتضيق ..

وفجأة ، هتف (رمزى) :

ـ لن أنتظر الموت .

اندفع فجأة ، محاولاً اختراق الصفوف ، ليبلغ البحر ، ولكن عشرات المخلوقات البحرية الصغيرة تعلّقت به ، وهو يضربها بقوّة وعنف ، و (نشوى) تصرخ فى ارتياع :

ـ كلّا يا (رمزى) .. كلّا ..

ولكن (رمزى) سقط ..

وراحت عشرات المخالب الحادّة تنهش لحمه ..

مئات ..

آلاف ..

وتمزّق جسد (رمزى) بلا رحمة ..

وصرخت (نشوى) :

ـ كلّا ..



اندفع فجأة ، محاولاً اختراق الصفوف ، ليبلغ البحر ، ولكن عشرات المخلوقات البحرية الصغيرة تعلّقت به ..

ثم اندفعت نحو (رمزى) ، وألقت نفسهـا وسط المخالب ..

ورأت (سلوى) الموت ينهش ابنتها بمخالبه ، فأسرعت إليها صارخة ..

وصرخ (نور) ..

صرخ ، وهو يرى تلك المخلوقات تلتهم زوجته ، وابنته ، وصديقه ..

وصاح فى ثورة :

ـــ أيها الحقير .

وراح يُطلق أشعة مسدّسه فيما حوله ..

ويطلقه ..

ويطلقه ..

ويطلقه ..

ثم اختفت الجزيرة بغتة ..

تلاشت السرطانات ..

انتهت لحظات الرُّعب ..

وبكل ذُهول ، راح (نور) يتطلّع حوله ..

لقد كان يقف وسط رَدْهَة منزله ، وحوله زوجته وابنته ،

و (رمـزى) و (محمـود) .. وكذلك الـدكتـور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) ..

والجميع كانوا يتطلّعون حولهم فى ذُهُول ..

والجميع بخير حال ..

وراح (رمزى) يتحسَّس جسده مذهُولاً ، وكذلك (سلوى) و (نشوى) ، وقد أذهلهم أنهم بخير تمامًا ..

وهتف (رمزى) فى ذُهول :

ـــ يا إلٰهى !!.. لقد عشنا جميعًا وهْمًا قاتلاً .

زفرت (نشوى) فى قوّة ، وقالت :

ـــ ربّاه !! لقد كدت ألقى حتفِى رُعْبًا بالفعل .. حتى ولو كان ذلك وهْمًا .

ارتجف الجميع فى عُنف ، عندما ردّدت الجُدران صوت الشيطان الابن ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ كان من الممكن أن يصبح حقيقة .

تلفّت الجميع حولهم فى ذُعْر ، فيما عدا (نور) ، الذى هتف فى غضب :

ـــ أنت أحقر مخلوق واجهته فى حياتى كلها .. إنك أجبن من أن تظهر أمامنا واضحاً .

انطلقت ضحكته الساخرة ، وهو يقول :

ـــ لا تتصوَّر أنك ستستفزُّنى أيها الآدمىّ .. إن ما تعتبره أنت ذمًّا ، يعدّه شعبى مَدحًا .. فالجبن والحقارة والخيانة والخِسَّة هى من سماتنا ، والتفوُّق فيها يدعو ـــ بالنسبة إلينا ـــ للفخر .. أنسيتَ أننا نقطن أقصى الشرّ ؟

عاد يطلق ضحكاته الساخرة المُرعبة ، والدكتور (عزيز) يغمغم :

ـــ إنه على حق .. فالملائكة فى ذِرْوَة الخير ، والإنسان مخلوق وسط ، ما بين الملائكة والشياطين ، على حين يرقد الشياطين فى أعماق الشرّ .

تألَّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـــ أنت على حقٍّ يا دكتور (عزيز) .

وارتفع صوته ، وهو يستطرد فى حزم :

ـــ هذا هو سرّ ثورته .

تطلَّع إليه الجميع فى دهشة ، وغمغم الدكتور (عزيز) فى حَيْرة :

ـــ ماذا تعْنى يا (نور) ؟

قال (نور) فى صرامة .

ـــ هذا المخلوق التَعِس لم يبلغ أيَّة ذِرْوَة .. إنه نصف إنسان ، ونصف شيطان .. ولقد قضَى حياته كلها يَسْعى جاهدًا ؛ لإثبات أنه شيطان كامل .. لقد كان قوم أبيه يعيِّرونه دَوْمًا بأنه نصفُ شيطان ، وليس شيطانًا كاملًا ..

انفتح باب المنزل فجأة فى عنف ، وهبَّت رياح عنيفة قويَّة ، تركَّزت كلها على (نور) ، فانتزعته من مكانه ، وألقته على الحائط فى شِدَّة ، فصرخت (سلوى) فى هَلَع :

ـــ (نور) !!..

ولكن (نور) نهض واقفًا على قدميه ، على الرغم من آلام ظهره العنيفة ، واستطرد فى صرامة :

ـــ ولقد كانوا دائمًا على حقّ ، فعلى الرغم من أن نصفه الشيطانىّ يجعله يبدو لنا خارقًا ، إلَّا أن نصفه الآدمىّ يجعله يبدو لهم ضعيفًا .

هبَّت الرياح أكثر عُنفًا هذه المرَّة ، وحملت (نور) إلى السقف ، وضربته به فى قوة مؤلمة ، ثم ألقته أرضًا ، مع صوت غاضب ، يُدَوِّى كقصف الرَّعد ، صارخًا :

ـــ كاذب ..

نهض (نور) مرَّة أخرى ، ومسح خيطًا من الدم ، سال على طرف شفتيه ، وهو يتابع :

ـــ الكاذب هو الذى يرفض الاعتراف بحقيقته .. الكاذب هو من يحاول التَنصُّل من جزء من نفسه .. هل لك أن تخبرنى لماذا لا تقتلنا مباشرةً ؟.. سأخبرك أنا لماذا .. لأنك ترغب فى أن تفوز بنصر ساحق ، يضمن لك احترام قوم أبيك ، الذى تفتقر إليه طيلة عمرك ..

هبَّت الرياح مرَّة ثالثة ، ودفعت (نور) إلى نافذة جانبية ، ودفعته لاختراقها ، لتلقى به خارجها ..

وصرخت (سلوى) :

ـــ (نور) !!

(وهتفت (نشوى) :

ـــ أبى !!

واندفع الجميع نحو النافذة ، لإنقاذ (نور) ، ولكنه برز أمامهم فجأة ، والدماء تسيل من جُرْح فى جبهته ..

وأسرعت (سلوى) نحوه ، هاتفة :

ـــ (نور) .. أأنت بخير ؟

أزاحها بعيدًا فى حزم ، وقفز داخل الرَّدْهَة مرَّة أخرى ، وهو يواصل حديثه ، كما لو أن شيئًا لم يقاطعه :

ـــ وعلى الرغم من محاولاتك الحقيرة هذه ، فأنت لن تنجح

أبدًا أيها النصف شيطان .. إنك ستخسر معركتك هذه ، كما خسرت كل معاركك من قبل ، عَبْر التاريخ والعصور .

دوَّت صرخة الشيطان غاضبة ثائرة :

ـــ أنت كاذب .

ثم انتزعت الرياح (نور) من مكانه ، وأصابت به ركن الرَّدْهَة ، فسقط وهو يشعر بآلام مبرِّحة فى كل عظامه ، ولكن هذا لَمْ يمنعه من أن يرفع رأسه ، ويهتف فى حزم :

ـــ إنك حتى لست وسيمًا ، كما تبدو لنا .. وكما بدوْت للجميع منذ مولدك .. تلك الوسامة لم تكن سوى غلاف زائف كاذب .. أنت بَشع .. بَشع ..

كانت صرخة الشيطان الابن هذه المرَّة تموج بآلام رهيبة ، وهو يهتف فى مرارة لا حدَّ لها :

ـــ كم أنت حقير أيها الآدمى !

نهض (نور) ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ ألأننى كشفت حقيقتك ؟

أجابه (ابن الشيطان) فى غضب :

ـــ كان ينبغى أن تشكرنى أيها الآدمىّ ؛ لأننى أمنحك دوْمًا وجهى الوسيم ، فأنت لن تحتمل ، مهما بلغت شجاعتك ، رؤية وجهى الحقيقى .



ثم انتزعت الرياح (نور) من مكانه ، وأصابت به ركن الرَّدهة ، فَسَقَطَ وهو يشعر بآلام مبرِّحة فى كل عظامه ..

غمغم (نور) فى سُخرية :

ــ أتقصد وجهك البشع ؟

أجابه الشيطان الصغير فى غضب :

ــ نعم .. الوجه البشع .

ثم أضاف فى حِدَّة :

ــ إننى أعترف أنك تعلم نقطة ضعفى يا حفيد (أوزيريس) ، ولكن من سوء حظِّك أنه من الضرورىّ أن نلتقى وجهًا لوجه ، حتى يُمكنك قتلى .. أقصد إجبارى على العودة إلى الجحيم ، حتى يقرأ شخص آخر اسم أبى ، المنقوش على قرص حياتى ، بلغتنا الخاصَّة ، التى لا يعلمها مخلوق واحد على كوكب الأرض .. وفى جولتنا هذه ، لن نلتقى وجهًا لوجه أبدًا .. سنقاتل دومًا من خلال وسطاء .. ولتعلم أيها الرائد أنك ستكون آخر من أقتله .. فى هذه الحجرة .. فسأتبع معك وسيلة أكثر إيلامًا من الموت نفسه .. سأقتل فى كل يوم واحدًا من رفاقك ، حتى تصبح وحيدًا .. وصدِّقنى .. لحظتها قد يصبح الموت بالنسبة إليك أُمنية .

صاح (نور) فى غضب :

ــ أيها الحقير ..

انطلقت ضحكة الشيطان الابن ، ترجّ المكان ، وتبتعد تدريجيًا فى بطء ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

لقد انتهى صراع الليلة ..

وبدأ صراع جديد ..

بقواعد جديدة ..

والقواعد هذه المرّة هى إخلاء الساحة أوّلًا ..

وقتل الجميع ..

* * *



١١ ـ بضربة واحدة ..

ساد الوجوم والصمت لحظات ، بعد أن تلاشى صدى ضحكات (ابن الشيطان) الأخيرة ، وتطلّع الجميع بعضهم إلى بعض فى ذهول ، وقلق ، وشك ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

ـ هل ذهب ؟

زفر (نور) فى قوّة ، وأومأ برأسه إيجابًا ، مغمغمًا :

ـ نعم .. لقد سئم لعبته الليلة .

ألقت (نشوى) جسدها فوق أقرب مقعد إليها ، وهى تهتف فى توتُّر بالغ :

ـ يا إلٰهى !!.. لم أتصوَّر أبدًا أن تلك الليلة ستنتهى .

تمتم الدكتور (عزيز) :

ـ ولا أنا .

وهتفت (سلوى) :

ـ يا إلٰهى !!.. فليكن كل ذلك مجرَّد كابوس .. كابوس بشع .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ــ بل هو حقيقة للأسف .

اعتدل (نور) ، وسيطر على أعصابه فى قوّة وصلابة ، وهو يقول :

ــ حسنًا أيُّها السادة .. لقد انفضَّ الحفل ، وسيعود كل منكم إلى منزله ، ويلتزم الحَيْطة والحَذَر بقدر الإمكان ، حتى نعلم أين سيوجِّه ذلك الحقير ضربته القادمة .

سأله (محمود) فى توتُّر :

ــ ألن نضع خُطَّة يا (نور) ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ــ كيف ؟!.. أليس من المحتمل أنه ما زال هنا ، يستمع إلى خُطَطنا فى هدوء ؟!

تلفَّتوا حولهم فى خوف ، وغمغمت (سلوى) :

ــ نعم .. هذا محتمل .

ارتجف صوت (رمزى) ، وهو يقول :

ــ لقد أكَّد أنه سيقتنصنا جميعًا ، واحدًا بعد الآخر ، قبل أن يتفرَّغ لك يا (نور) .

غمغم (نور) محاولًا أن يطمئنه :

ــ لا تصدِّق كل ما ينطق به ذلك الوغد يا (رمزى) ، فالصدق ليس صفة من صفاته حتمًا .

قال (محمود) فى توتُّر ، وهو يتلفَّت حوله :

ــ تُرى من سيقتنص أوَّلًا ؟

بعث سؤاله قُشَعْرِيرَة فى أجسادهم جميعًا ، وتمتم (نور) :

ــ قلت لك ألَّا تصدِّق كل ما ينطق به .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز التليفيديو ، فاتجه إليه (نور) ، وضغط أزراره ، فظهرت على شاشتـه صورة الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول فى تردُّد :

ــ (نور) .. لدىَّ خبر سيؤلمك .

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ أعلم يا دكتور (عبد الله) .. لقد سُرِق القرص .. أليس كذلك ؟

هتف الدكتور (عبد الله) فى دهشة :

ــ من أخبرك بهذا ؟

أجابه (نور) فى توتُّر :

ــ هو أخبرنى يا سيِّدى .

ردَّد الدكتور (عبد الله) فى حَيْرة :

ـــ هو ؟!

أجابه (نور) :

ـــ نعم يا سيِّدى .. هو .. وأنا أقصد ذلك الابن الملعون .. (ابن الشيطان) .

* * *

انطلق الدكتور (حجازى) بسيارته صامتًا ، دون أن يتبادل كلمة واحدة مع الدكتور (عزيز) ، الجالس إلى جواره ، حتى قال هذا الأخير فى هدوء :

ـــ أما زلت تفكِّر فى بالأمر ؟

سأله الدكتور (حجازى) متوتِّرًا :

ـــ ألا تفعل أنت ؟!

تنهَّد العجوز فى عمق ، وقال :

ـــ نعم .. أفعل ، فى الواقع .....

وصمت لحظات ، ثم استطرد فى اهتمام :

ـــ من تظنّه سيكون الضَّحيَّة الأولى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى عصبيَّة :

ـــ يا له من سؤال !!.. من يملك جوابه سواه ؟

عقد العجوز حاجبيه الأشيبين ، وهو يقول :

ـــ أتعلم ؟.. لو أننى مكانه ، لوقع اختياره علىَّ أوَّلًا .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـــ ولماذا أنت ؟

قال فى هدوء :

ـــ لأننى أكثر الجميع علمًا به ، والتخلُّص منّى يحرم الآخرين فرصة الاستزادة من المعلومات .

أراد الدكتور (حجازى) أن يفنِّد منطقه ، إلَّا أن حشرجة مزعجة ، انبعثت من محرِّك سيارته ، جعلته يهتف منزعجًا :

ـــ يا إلهى !!.. يا له من موضع تتعطل فيه السيارة !!

كانت السيارة قد توقَّفت عند مشارف (القاهرة) القديمة ، على بعد كيلومتر واحد من منزل الدكتور (عزيز) ، فى منطقة مُقفرة مخيفة ، ولقد هبط منها الدكتور (حجازى) ، وهو يسبُّ ساخطًا ، وفحص محرِّكها فى حنق ، قبل أن يهتف :

ـــ لقد توقَّف ذلك المحرِّك العنيد .. يبدو أننا سنقضى الليل هنا ، حتى مطلع الشمس .

أتاه صوت العجوز ، وهو يقول فى هدوء ، لا يتناسب مع الموقف أو المكان :

— هذا لو أشرقت علينا الشمس .. أغنى ونحن على قيد الحياة بالطبع .

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، ولكنه رآه يتطلَّع بعيدًا ، فاستدار إلى حيث ينظر ، وتراجع فى حِدَّة ..

فعلى ضوء القمر ، التمعت عيون عشرات الذئاب ، التى تحيط بالسيارة ، وأنيابها تبرز فى وحشية ..

وكانت تلك العيون تشبه عينيه الملتهبتين ..

عينى الشيطان الابن ..

* * *

قال (رمزى) لـ(محمود) فى عصبيَّة ، فى نفس اللحظة ، التى أوقف فيها لأوَّل سيارته ، أمام منزل الأخير :

— أيرُوق لك أن تقضى الليلة وحدك ؟

أجابه (محمود) فى خوف واضح :

— كلَّا بالطبع .

قال (رمزى) :

— حسنًا .. كنت سأقترح أن نقضى الليلة معًا .

هتف (محمود) :

— اقتراح جيِّد .

غادرا السيَّارة معًا ، ودلفا إلى المنزل ، و (رمزى) يقول بنفس العصبيَّة :

— أتعلم .. أننى أشعر بالخجل ؟

سأله (محمود) فى دهشة :

— لماذا ؟

أجابه فى حَنَق :

— لأن الخوف يمنعنى من قضاء الليل وحدى .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يتمتم :

— كلنا هذا الرجل يا صديقى .

زفر (رمزى) فى قوَّة ، وألقى نفسه فوق مقعد قريب ، وهو يقول :

— أتعلم أن هذا أكثر ما واجهناه إثارة للرُّعب ؟

وافقه (محمود) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

— هذا صحيح .

قال (رمزى) فى توتُّر :

— أتعلم لماذا ؟

غمغم (محمود) :

— ألأنه شيطانىّ ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، ثم قال فى حزم :

ـــ بل لأنه لا يتبع أيّة قواعد علمية .

تمتم (محمود) فى حَيْرة :

ـــ وماذا فى هذا ؟.. لقد واجهنا عشرات الأشياء والمواقف ، التى لا تتبع القواعد العلمية المعروفة .

لوّح (رمزى) بسبّابته ، قائلًا :

ـــ تقصد لا تتبع قواعدنا يا صديقى ، ولكنها تتبع نوعًا من القواعد العلمية على أيّة حال ، وإن كنّا نجهلها فى ذلك الحين .

قلّب (محمود) كفّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ وما الفارق ؟

اعتدل (رمزى) ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ الفارق هو أننا كنّا نستطيع أن نواجه كل القضايا السابقة ، بأسلوب علمى ، مهما اختلفت قواعدها ، حتى عندما عبَرْنا حاجز الزمن(*) ، وتخطّينا أجواز الفضاء(**) .. فى كل مرّة كنّا نتعامل مع ما يواجهنا بمُعْطَيات علميّة .. أما

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

(**) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

الآن ، فإننا نجهل حتى قواعد اللُّعبة .. صحيح أننا نعرف من نواجه ، ولكن هذا ، فى حدّ ذاته ، يزيد الأمر رهبة وصعوبة .

غمغم (محمود) فى استسلام :

ـــ أنت على حقّ .

ثم بدا وكأن سؤالًا قد قفز إلى رأسه بغتة ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـــ ولكن قُلْ لى : كيف كنت تشعر ، عندما كانت تلك السرطانات البحرية تلتهمك ؟

أجابه (رمزى) فى عصبيّة ، وكأن استعادة تلك الذكرى تثير أعصابه :

ـــ بالألم .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!.. إذن فذلك الشيطان الصغير يمتلك قُدرة هائلة على صنع الأوهام ، والعوالِم الخيالية .. أليس كذلك ؟

صمت منتظرًا جواب (رمزى) ، ولكنه لم يحصل عليه ، فهتف :

ـــ أليس كذلك يا (رمزى) ؟

كان (رمزى) جامدًا على مقعده ، يتطلّع أمامه مباشرة ، فهتف به (محمود) فى توتّر :

— فيمَ تفكّر ؟

تمتم (رمزى) بصوت مرتجف :

— إننى أتساءل جدّيًا .. أوهمٌ هذا أم حقيقة ؟

قالها وهو يرفع إصبعه ، ويشير إلى نقطة ما خلف (محمود) ، الذى استدار فى حركة حادّة ، ثم تراجع كالمصعوق ..

لقد كان هناك حيوان يربض فى رَدَهة منزله ، ويتطلّع إليه وإلى (رمزى) بعينين اشتعل فيهما لهيب شيطانىّ مخيف ..

وكان هذا الحيوان تِنّينًا ..

تِنّينًا أسطوريًّا رهيبًا ..

* * *

تلفّتت (نشوى) حولها فى خوف ، وهى تقول لأبيها :

— أتتصوّر أنه يمكننى النوم يا أبى ، بعد كل ما حدث ؟

أجابها فى حزم :

— إننا لن نبقى مستيقظين إلى الأبد .

قالت (سلوى) :

— فلتضمنا جميعًا حجرة واحدة إذن .

زفر فى قوّة ، وهو يقول :

— فليَكن .

تراصّوا على فراش واحد ، وغمغمت (نشوى) فى خوف :

— من تظنّه سيختار كضحيّة أولى يا أبى ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى توتّر :

— لست أدرى يا (نشوى) .. من المستحيل توَقُّع الضربة التالية ، حينما تواجهين خصمًا نصف شيطانىّ ..

سألته (سلوى) بصوت مرتجف :

— كيف يمكننا مواجهته هذه المرّة يا (نور) ؟

تنهّد ، وربّتت على كفّها ، مغمغمًا :

— لست أدرى يا عزيزتى ، ولكننى واثق من أننا سنهزمه حتمًا .

انطلقت فى المكان ضحكة ساخرة ، جعلتهم يهبّون من فراشهم دفعة واحدة ، قبل أن ينطلق صوت الشيطان الابن ، قائلًا :

— يا لك من متكبّر مغرور أيها الرائد !!

قفز (نور) من فراشه ، ولوّح بقبضته فى الهواء ، هاتفًا :

— اجعلنى أراك لحظة واحدة أيها الحقير ، وستكون الهزيمة من نصيبك .

انطلقت الضحكة الشيطانية الساخرة مرّة أخرى ، قبل أن يقول ذلك الشيطان الصغير :

— قُلت لك إنه من العبث أن تحاول استفزازى أيها الرائد ، فعلى الرغم من كل ما أملكه من صفات ، تطلقون عليها اسم النقائص ، إلّا أننى لست من ذلك النوع ، الذى يقع فى خطإ واحد مرّتين .. إننى أذكى من أن أفعل .

هتف (نور) :

— إننى أتحدّاك .

أجابه الشيطان الابن فى سخرية :

— هذا شأنك ، أمّا أنا ، فلقد أخبرتك من قبل ، أننى سألعب اللُّعبة بقواعدى الخاصّة هذه المرّة ..

وتضاعفت رنّة السخرية فى صوته ، وهو يستطرد :

— لقد قرّرت — توفيرًا للوقت — أن أتخلّص من الجميع دفعة واحدة ، وبضربة واحدة مركّزة .

هتفت (سلوى) فى ذُعر :

— كيف ؟!

أجابها فى لهجة ظافرة :

— العالمان الكبيران يواجهان الآن قطيعًا من الذئاب

المتوحشة الجائعة ، فى نفس الوقت الذى يواجه فيه عضوا فريقكم تِنّينًا أسطوريًّا قاتلًا ، ينفث اللهب من حلقه .. أمّا أنتم ، فلقد أعددْت لكم مِيتة مبتكرة .. أستعين فيها أيضًا بالحيوانات .

هتف (نور) فى حِدّة :

— لماذا ؟.. أنت وحدك كنت تكفى ، فأنت أسوأ حيوان عرفه التاريخ .

قال فى سخرية :

— فليكن .. ولكن حيواناتى الصغيرة ستثبت لكم المبدأ ، الذى يقول عندكم إن الاتحاد قوّة ، فستواجهون آلاف المخلوقات الضئيلة ، التى ستلتهمكم التهامًا .

تشبّثت (نشوى) بأمّها فى رُعب ، وهى تهتف :

— ماذا يقصد يا أمّاه ؟

أجابتها تلك الضحكة الشيطانية الساخرة ، التى راحت تبتعد فى سرعة ، فى حين هتفت (سلوى) بدوْرها :

— ماذا يقصد يا (نور) ؟

هتف بها (نور) فى توتّر :

— أنصتا .

لزم ثلاثتهم الصمت تمامًا ، وتناهى إلى مسامعهم ذلك الصوت المخيف ، الذى يصدر من كل جدران المنـــزل ، وتمتمت (سلوى) فى رُعب :

ــ إنه يشبه صوت آلاف المخالب الصغيرة ، وهى تحفر الحائط ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها فى رُعب ، وهى تستطرد :

ــ المخالب الصغيرة .. يا إلٰهى !!..

لم تكد تتمُّ عبارتها ، حتى برزت طلائع الجيش الرَّهيب ، الذى أتى لالتهام ثلاثتهم ..

جيش الفئران ..

* * *

[انتهى الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع والأخير]

[الجولة الأخيرة]

رقم الإيداع ٣٢١٥